

بلاغة الأسلوب القرآني
في علاج هوى النفس البشرية.

إعداد

د/ محمود سعد شمس باحث رئيس

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والأنظمة

قسم القراءات - جامعة الطائف

أ د / حامد محمد عثمان، باحث مشارك

الأستاذ بكلية الشريعة والأنظمة

قسم القراءات - جامعة الطائف

د/ محمد كامل محمد حسن، باحث مشارك

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والأنظمة

قسم القراءات - جامعة الطائف

ملخص البحث:

تدور صفحات هذا البحث حول بلاغة الأسلوب القرآني في علاج هوى النفس مبينا أن الله ﷻ قد ألهم النفس فجورها وتقواها وأن الفلاح لمن زكاها والخيبة لمن دساها، وأن الله ﷻ قد جعل رقابة الإنسان على نفسه ذاتية، فهو على نفسه بصيرة، وطالبه أن ينهى نفسه عن هواها، ولأن النفس تميل للذة العاجلة التي تنشأ من هوى النفس، فقد جعل الله ﷻ لذلك علاجا في خطوات محددة بأسلوب بلاغي دقيق متنوع، فتارة بأسلوب الترهيب كتذكيرها بالحساب وبالجزاء، وتارة أخرى بأسلوب الترغيب كالفوز بالمغفرة وبالخلود في الجنات والنعيم المقيم، كما يحثّ الإنسان أن يرتقي بنفسه ليصل لدرجة السمو من خلال حسن التوكل على الله، وغرس اليقين فيما عند الله ﷻ في نفسه، والتقويم الذاتي لنفسه ومجاهدة نفسه للعمل على تحقيق أواصر الأخوة الإيمانية من خلال البحث الموسوم بـ: بلاغة الأسلوب القرآني في علاج هوى النفس البشرية.

Summary of thr Research

The Eloquence of the Quranic method in treating Human Self-desire

This research deals with the eloquence of Quranic method in treating self-desire indicating that Allah has inspired the self its corruption and its righteousness and those who prosper are those who purify it and they are ruined those who corrupt it , and that Allah has made human have auto control over himself. Because the self tends to temporary pleasure which arises from the desire of one's self , Allah has a remedy in specific, varied ,accurate and rhetorical steps , sometimes with intimidation style as reminding it with judgement and penalty and at other times with a manner of enticement as winning forgiveness and immortality in paradise where there is the eternal bliss. Allah also urged man to rise himself up to the point of highness through good trust in Allah and to instill certainty in Allah, self evaluation for himself and struggle with himself to achieve the bonds of faith brotherhood through this research (The Eloquence of the Quranic method in treating Human Self-desire)

الاستفادة من هذا البحث:

١- الوقوف على علاقة بلاغة الأسلوب القرآني بمعالجة هوى النفس البشرية.

٢ - بيان طبيعة النفس البشرية بصفاتها السلبية والإيجابية وكيفية معالجة السلبيات والتأكيد على الإيجابيات.

٣- إبراز بلاغة الأسلوب القرآني في معالجة هوى النفس البشرية بمختلف أنواع الأساليب.

٤- الوقوف على أسلوب القرآن الكريم في الارتقاء بالنفس البشرية وكبح جماحها ليسمو بنفسه.

٥- إبراز التقويم الذاتي للإنسان وأثره في الاتقاء بالنفس البشرية.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد:

فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ويسر له من السبل ما يمكنه من تأدية المهمة التي خلقه لأجلها ، وهى عبادة الله تبارك وتعالى ، ولأن الله قد هدي الإنسان النجدين، وهما على قول أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة؛ أي: بيناهما له بما أرسلناه من الرسل(١).

وهذا كما قال الله في آية أخرى: "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً" [الإنسان: ٣]؛

أي: بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر، فهو إما مؤمن سعيد وإما كافر شقي، وقيل: بينا له الطريق؛ إن شكر، أو كفر(٢).

وهذا الإنسان قد أودع الله فيه نفسًا وألهمها فجورها وتقواها وجعل الفلاح لمن زكاها والخيبة لمن دساها، ولذلك جعل الله نهي النفس عن الهوى نصف الطريق الموصل للجنة ولم يجعل أحدا من خارج الإنسان ناهيا لنفسه وإنما جعله هو الرقيب على نفسه، فقال تعالى"وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى [النازعات: ٤٠ - ٤١]،والمعنى كما ذكر الطبري: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه

بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه، فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة(٣).

ولما كان الهوى أمراً فطرياً فى النفس البشرية يحتاج الإنسان لدفعه وكبح جماح نفسه عن الهوى فقد ذكر الله في كتابه الحكيم طرقا وأساليب لعلاج النفس من هذا الهوى الذي تميل إليه النفس بقوة حتى يتمكن الإنسان من مجاهدة نفسه.

وفي كتاب الله ما يعين الإنسان على نفسه في معالجتها من هذا الهوى تارة بأسلوب الترهيب وتارة بأسلوب الترغيب، وتارة أخرى يبرز القرآن الكريم للإنسان أساليب للارتقاء والوصول بالنفس إلى درجة السمو في علاقتها بربها حتى يحقق العبودية لله كما أمر الله، من هنا تأتى أهمية الكتابة في هذا البحث الموسوم بـ (بلاغة الأسلوب القرآني في علاج هوى النفس البشرية)

لتحقيق الأهداف التالية : -

١- التأكيد على وجوب مجاهدة الإنسان نفسه من الهوى الذي ترغب فيه بقوة ولن يكون ذلك إلا باتباع خطوات القرآن ومنهج القرآن في معالجة النفس؛ حيث إن خالقها هو العالم بها وبالعلاج النافع لها من كل الجوانب.

٢- أن المسلم لن يكون من المفلحين إلا إذا كان متبعا لما جاء به محمد ﷺ من عند الله حيث فيه الفلاح والنجاح .

٣ - الوقوف على بلاغة الأسلوب القرآني في علاج النفس من الهوى ، لما للهوى من مكانة ورغبة شديدة في النفس.

٣-التأكيد على أن القرآن الكريم صالح لهداية الناس لمن أراد الاهتداء ففيه العلاج لكل ما قد يعتزي الإنسان من رغبات تبعده عن الله.

٤- التأكيد على حاجة المجتمع المسلم إلى إبراز كنوز القرآن في معالجته للقضايا التي تسهم في تصحيح علاقة الإنسان بخالقه مما ينعكس ذلك على سعادة الفرد والمجتمع حيث يكون عضوا صالحا نافعا لدينه ولنفسه ولمجتمعه ولوطنه.

٥- معالجة السبب الرئيس للأزمات التي تعانى منها الأمة الإسلامية التي جعلت الإنسان قد تردى عن مراتب الكمال .

هذا وطبيعة البحث تقتضى تقسيمه على النحو التالي : -

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

أما التمهيد ففيه التعريف بمصطلحات البحث وبيان طبيعة النفس البشرية فى القرآن الكريم وتحته مطالب :

المطلب الأول: بيان معنى بلاغة الأسلوب. وتحته فروع :

الفرع الأول: بيان مفهوم: البلاغة، الأسلوب، النفس، الهوى.

الفرع الثاني : العلاقة بين بلاغة الأسلوب وعلاج النفس في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : طبيعة النفس البشرية كما يصورها القرآن الكريم وتحته فرعان:

الفرع الأول: طبيعة النفس البشرية بوصفها بصفات سلبية، مثل: حب الذات، الميل إلى الرغبات ذات اللذة العاجلة، تسويف التوبة، البحث عن مخرج للتنصل من المسئولية.

الفرع الثاني: طبيعة النفس البشرية بوصفها بصفات إيجابية، مثل: سرعة الاستجابة للإيمان، الندم على فعل المعصية والتقصير في الطاعة، الرغبة في الفوز بمغفرة الله.

المبحث الأول : بلاغة القرآن الكريم في علاج هوى النفس بأسلوب الترهيب.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تذكير النفس بالحساب وبالجزاء.

المطلب الثاني : تحذير النفس من الاغترار بالدنيا وزينتها.

المطلب الثاني : ترهيب النفس من الافتتان بالشيطان.

المبحث الثاني : بلاغة القرآن الكريم في علاج هوى النفس بأسلوب الترغيب.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب بالمنافع الدنيوية. وتحته فروع:

الفرع الأول: دعوة النفس إلى الوصول للأفضل.

الفرع الثاني: ترويض النفس على تحمل المشقة في الطاعة .

الفرع الثالث: دعوة النفس إلى التخلي عما يعيق الفلاح.

المطلب الثاني : أسلوب الترغيب بالثواب الأخروي. وتحته فروع:

الفرع الأول: دعوة النفس إلى التنازل عن بعض ما تحب.

الفرع الثاني: ترويض النفس على تحمل المشقة في التنازل عن رغبتها في الانتقام ممن أساء إليها.

الفرع الثالث: دعوة النفس إلى المسارعة فى سد الخلل وعدم الإصرار عليه.

المطلب الثالث: أسلوب الترغيب في الفرار إلى مواطن رحمة الله.

وتحته فروع:

الفرع الأول : مواطن تأدية الطاعات .

الفرع الثاني : مواطن قراءة القرآن والاستماع والانصات له .

الفرع الثالث : مواطن الذكر والاستغفار .

المبحث الثالث : بلاغة الأسلوب القرآني في الارتقاء بالنفس البشرية وسموها.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : بلاغة الأسلوب القرآني في حُسْنُ التوكل على الله.

المطلب الثاني : بلاغة الأسلوب القرآني في اليقين في وعد الله.

المطلب الثالث : بلاغة الأسلوب القرآني في تحقيق الأخوّة الإيمانية.

المطلب الرابع : بلاغة الأسلوب القرآني في تقويم الإنسان لذاته .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

بين الدراسات السابقة، والدراسة الحالية:

انطلاقا من أدبيات البحث العلمي التي تنص على أنه لابد وأن تتقاطع الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة تقاطعا جوهريا، فقد تبين أن هناك العديد من الدراسات السابقة قد تناولت موضوع معالجة النفس البشرية من بعض الأمراض العصرية التي تصيب بعض النفوس البشرية كالقلق والتوتر والاكتئاب وغير ذلك، حتى وإن تناول بعضها الموضوع في ضوء القرآن الكريم إلا أنه تناول نظري، كالاستدلال ببعض الآيات فقط دون تحليل، لكن دراستنا للموضوع تختلف عن تلك الدراسات من زاويتين:

الأولى: من حيث موضوع المعالجة؛ حيث إن الدراسات السابقة كلها تركز على معالجة بعض الأمراض النفسية التي قد تعتري البعض وتصل لحالات مرضية كالاكتئاب والقلق والتوتر وغيره، بينما دراستنا تركز على بلاغة الأسلوب القرآني في علاج هوى النفس الذي يجعل النفس تنحرف بعيدا عن الإيمان بالله واتباع الرسل – عليهم السلام–، أو النفس التي قصّرتْ في طاعتها وفي عباداتها، وهذا ما خلت منه تماما الدراسات السابقة وانفردت به دراستنا الحالية.

الثانية: جميع الدراسات السابقة التي استطعت الاطلاع عليها تناولت الموضوع كدراسة نظرية بعيدة عن التحليل الدقيق للنص القرآني فضلا عن تميز دراستنا الحالية بكونها تعنى بدراسة دقة وبلاغة الأسلوب القرآني في تلك المعالجة بخطوات دقيقة مبرزة مظاهر التعبير القرآني الدقيق وهذا ما خلت منه الدراسات السابقة وانفردت به دراستنا الحالية، ومن تلك الدراسات السابقة التي تكاد تتقاطع مع دراستنا الحالية من حيث الموضوع بعمومه لا بخصوصه ما يأتي:

أولا : كتاب: علاج النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم، آلاء محمد أسعد السعيد، ط دار البشائر الإسلامية ٢٠٠٨م، وهذا الكتاب يكاد يتقاطع مع عنوان دراستنا الحالية، لكنه يتناول الموضوع من خلال علاج المرض النفسي الذي قد يتعرض له البعض كالقلق والتوتر النفسي إلخ.

فهو وإن كان موضوعه متفقا مع دراستنا في تناول: علاج النفس في ضوء القرآن الكريم إلا أن دراستنا الحالية فيها اختلاف كبير من حيث العنوان، ومن حيث الموضوع؛ حيث إن تناوله لعلاج النفس من بعض الأمراض النفسية، بينما في دراستنا خصوصية في العنوان وفي المضمون، فسنتناول الموضوع بإذن الله بصورة علمية من خلال بلاغة أسلوب القرآن الكريم في علاج النفس من الهوى والفجور بحيث يستطيع الإنسان تحقيق العبودية لله والفوز بمرضاة الله ومن ثم الجنة.

ثانيا: كتاب الإشارات النفسية في القرآن الكريم د/ لطفي الشربيني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٩م، والكتاب يتناول العلاج من زاوية علاج القرآن للأمراض النفسية التي قد تعتري البعض كالكتاب السابق تماما، والفرق جلي واضح بين دراستنا وبين ما يتناوله هذا الكتاب.

ثالثا: كتاب : القرآن وعلم النفس، د/ محمد عثمان نجاتي، دار الشروق – الطبعة السابعة ٢٠٠١م، والكتاب يتناول الموضوع من حي الربط بين علم النفس والقرآن الكريم لبيان بعض المفاهيم النفسية استدلالا ببعض الآيات القرآنية كالإدراك الحسي، واكتساب المعرفة وغير ذلك، ومن الواضح الجلي الفرق الكبير بين موضوع الكتاب وموضوع دراستنا.

والله نسأله التوفيق للجميع.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث، وبيان طبيعة النفس البشرية في القرآن الكريم،

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: معنى بلاغة الأسلوب. وتحته فروع:

الفرع الأول: مفهوم: البلاغة، والأسلوب، والنفس، والهوى.

أولا: مفهوم البلاغة:

(بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد، وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه، وبلغ الشيء يبلغ بلوغا و بلاغا: وصل وانتهى، و أبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا([٤]).

وقد تسمى المشارفة بلوغا بحق المقلبة، كما قال الله ﷻ: (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف)، والمعنى: إذا بلغت المعتدات أجلهن؛ أي: شارفن على انقضاء للعدة وقاربن ذلك ولكن لم تبلغ للعدة الكلية([٥]).

ومن هذا الباب قولهم: هو أحمق بلغ وبلغ؛ أي: إنه مع حملقته يبلغ ما يريده، والبلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان؛ لأنه يبلغ بها ما يريده، يقال: ولي في هذا بلاغ؛ أي: كفاية ([٦]).

وأما بلاغة الكلام؛ فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته([٧]).

فالبلاغة في المتكلم: ملكة يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ كلاماً كان أو متكلماً فصيح ؛ لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة، وليس كل فصيح بليغاً، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته؛ أي: فصاحة الكلام، وقيل: البلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء يوصف بها الكلام والمتكلم فقط دون المفرد([٨]).

قيل للعتابي: ما البلاغة؟، قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حلسة ولا استعانة فهو بليغ([٩]) ، والبلاغة تقال على وجهين:

أحدهما: أن يكون الكلام بذاته بليغا وذلك يجمع ثلاثة أوصاف، ١- صوابا في موضع لغته ٢- وطبقا للمعنى المقصود به. ٣- وصدقا في نفسه، فمتى اختل شيء منها اختلت البلاغة.

الثاني: أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرا ما، فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له، وقوله عَجَلًّ: (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) يحتملها ذكره الراغب.

وعند متأخري أهل البيان: البلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فالبلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضى الحال والحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحته.

وإعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح ، لا الإخبار عن المغيبات ، ولا عدم التناقض والاختلاف ، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن

المعارضة، ولا إيجاز اللفظ أو كثرة المعنى وليس إعجازه لمعناه فقط، بل هو في المعنى تام كما هو في النظم[١٠].

وقال الخطابي [١١] ت (٣٨٨ هـ) بعد أن ذكر وجوهاً للإعجاز وأبان عن موقفه منها بين الإبطال والتضعيف بيَّن أن وجّه الإعجاز الذي يرتضيه هو الإعجاز البلاغي قال : .... ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات – هو: وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء معه :

أ– إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ،

ب – وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة اهـ. [١٢].

قلت : من هنا نعلم أن الإعجاز البلاغي – هو : وضع كل حرف وكل كلمة في موضعها لإفادة المعنى المراد الذي أراده الله ﷻ ، ولا يمكن أن يؤدي هذا المعنى بغير ذلك؛ لأنّ القرآن الكريم كلام الله ﷻ، ومَنْ ذا الذي يستطيع أن يتعمّق في النفس البشرية فيعلم خفاياها، وما يصلحها حتى يضع اللفظ في موضعه الذي يؤدي المعنى المراد غير الله ﷻ ؟.

ثانيا: مفهوم الأسلوب:

(سلب): السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف، يقال: سلبته ثوبه سلبا، والسلب: المسلوب[١٣].

وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب، وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتها، فهي مسلب، والإحداد على الزوج والتسليب عام ، وسلكت أسلوب فلان طريقته وكلامه على أساليب حسنة[١٤].

والأسلوب: السطر من النخيل، والطريق يأخذ فيه، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الوجه والمذهب، يقال: هم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، وقد سلك أسلوبه: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي: أفانين منه، والأسلوب :عنق الأسد؛ لأنها لا تثنى [١٥].

وكل شيء امتد فهو أسلوب، لأنه لا يخلو من المد، ومنه شجر سلب؛ أي طوِيل، لأنه إذا أَخذ ورقه وسعفه امتد وطال، وهو الفن والطريقة، والجْمع أساليب [١٦].

و قد عرّف عبد القاهر الجرجاني الأسلوب بأنه: "الضرب من النظم و الطريقة فيه"[١٧].

أما صاحب كتاب: منهاج البلغاء وسراج الأدباء[١٨] ؛ فإن مصطلح الأسلوب عنده يُطلق على التناسب في التأليفات المعنوية،"فيمثل صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها، و ما في ذلك من "حسن الاطراد والتناسب والتلطف في الانتقال عن جهة إلى جهة، والصيرورة من مقصد إلى مقصد[١٩].

ونظرة عبد القاهر شمولية؛ حيث جعل النظم شاملاً لما يتعلق بالألفاظ و المعاني، بينما غيره جعل الأسلوب منصبًّا على الأمور المعنوية (التناسب فيها)، و جعَله في مقابل النظم الذي هو منصبّ على التأليفات اللفظية. والله أعلم.

ثالثا: مفهوم النفس:

ذكر الله ﷻ النفس في القرآن في (٢٩٥) موضعا (٢٠)، ولا تكاد تخرج عن المعاني التالية:

١- بمعنى الكائن الخفي الموجود داخل الجسد.

٢- بمعنى الإنسان بجملته.

٣ - بمعنى " الذات" المعنوية.

و قد درج بعض المفسرين على اختيار المعنيين الثاني، والثالث في تفسيرهم لكلمة (نفس) الواردة في بعض آيات القرآن الكريم؛ أي: أنهم اعتبروا أن كلمة: (نفس) الواردة في تلك الآيات تشير إلى ذات الإنسان، أو الإنسان بكامله، ومعنى ذلك: أن القرآن حينما يكني عن الإنسان بجملته بكلمة: (نفس) في عدد من الآيات فذلك؛ لأن النفس التي فيه هي الكائن المعتبر في الخطاب وفي التكليف، وهي أنفَسُ وأثْمن ما في الإنسان، وأما البدن والروح فهي كائنات تابعة للنفس(٢١).

والنفس : هي ذات الشيء وحقيقته ، وقيل: النفس استعمال النفس بمعنى الذات غير مشهور، (وعين الشيء أيضا) كما نقول: جاءني بنفسه(٢٢).

وهي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم- هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم في تدبيره لتعلق جوهر النفس بالبدن فهو: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم، أو بالكلية فهو الموت(٢٣).

رابعا: مفهوم الهوى:

(هوي): الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي لخلوه ، قالوا : وكل خال هواء، قال الله

ﷻ:(وأفئدتهم هواء) ؛ أي: خالية لا تعي شيئا ، ويقال هوى الشيء يهوي: سقط ، وهاوية : جهنم ؛ لأن الكافر يهوي فيها

والهاوية: كل مهواة، والهوة : الوهدة العميقة، وأهوى إليه بيده ليأخذه(٢٤).

فالهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهويّ.

فالكلمة من هوي يهوي (بكسر الواو في المضارع): سقوط من علو إلى سفل، وقوله ﷻ:(فأمه هاوية)، قيل: هو مثل قولهم: هوت أمه؛ أي: ثكلت ، وقيل معناه : مقره النار، والهاوية: هي النار، قال اللهﷻ :(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ، (والهوي) من هوي يهوي (بكسر الواو) : ذهاب في انحدار، والهوي من هوي يهوى (بفتح الواو): ذهاب في ارتفاع(٢٥).

فالهوى: ميل في النفس إلى اللذة السريعة الفانية تأخذ النفس بعيدا عن تكليف اللهﷻ للإنسان، فينحرف إلى الباطل. والله أعلم

الفرع الثاني: العلاقة بين بلاغة الأسلوب وعلاج النفس في القرآن الكريم.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد خلق الإنسان في أحسن تقويم وأودع فيه نفسا وأقسم بها وبتسويته إياها، وقد ألهمها الفجور والتقوى، ثم يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الفلاح لمن زكّى نفسه، والخيبة لمن دسّ نفسه، وفي النفس هوى كائن فيها، لكن الإنسان يستطيع الفلاح والنجاح في تزكية نفسه، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] ؛ يقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنفس التي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، فأرشدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى فجورها وتقواها؛ أي بيَّن لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: بين لها الخير والشر. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري ، لكنه يبين أن الواجب على الإنسان أن يزكي نفسه ويطهرها ؛ لأنها تحب اللذة السريعة العاجلة، والمفلح هو من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وقد خاب من دسها ؛ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ(٢٦).

ولأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد ألهم النفس الفجور والتقوى فقد بيّن علاج النفس من هذا الهوى بالأسلوب البلاغي الذي يحرضها على التزام التقوى والبعد عن الفجور بالأسلوب البلاغي الجميل مبينا أن من طبيعة النفس البشرية بعض الصفات السلبية، مثل : حب الذات وتسويف التوبة والبحث عن مخرج للتنصل من المسئولية، والميل إلى الرغبات العاجلة السريعة، فيحث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النفس على أن تتخلص من تلك الصفات السلبية مبينا اقتراب الحساب حتى يستحث

النفس على أن تتخلى عن صفاها السلبية، وتتحلى بالصفات الإيجابية، قال عزّ وجلّ: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١] ، والمعنى: لقد دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم، ، وهم في الدنيا غافلون عما يفعل الله بهم يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال(٢٧).

ويحث الله سبحانه وتعالى النفس أن تتمسك بالصفات الإيجابية ، مثل : سرعة الاستجابة للطاعة، والندم على التقصير فيها ، والرغبة في للفوز بمغفرة الله ورضوانه ، كما يحذرها من الاغترار بالدنيا والافتتان بالشيطان ، ويطالبها بالترويض على تحمل المشقة في سبيل الطاعة، والتنازل عن رغبلها في الانتقام ، والفرار إلى مواطن رحمة الله سبحانه وتعالى ، وهذا كله بالأسلوب البلاغي الدقيق.

المطلب الثاني :

طبيعة النفس البشرية كما يصورها القرآن الكريم وتحته فرعان:

الفرع الأول: طبيعة النفس البشرية بوصفها بصفات سلبية.

إن النفس البشرية متصفة بصفات سلبية تحتاج لمجاهدة الإنسان نفسه حتى يتمكن من علاجها ومن تلك الصفات السلبية أذكر منها ما يأتي:

١ - حب الذات.

وهو أن يحب الإنسان نفسه، فيؤثرها على كل من عداها، وتلك من الصفات السلبية السيئة التي ينبغي معالجة النفس منها؛ لأنها من أقوى الشهوات وأكثرها عمقا في النفس، فهي تصيب النفس المريضة بعدة أمراض منها: الأنانية والغرور والكبر، والتعالي على الناس والإعجاب بالنفس والرياء وحب المدح من الناس والشح والحسد وكثرة الغضب التي تغرس في النفس الكثير من الصفات السلبية، ولذا ربّ العباد وضع علاجا لتلك الصفة السلبية أن يؤثر الإنسان أخاه على نفسه، قال ﷻ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر: ٩] ، فلأن النفس تحب ذاتها بقوة فقد أخبر الله ﷻ أن عباده المؤمنين يؤثرون على أنفسهم وهذا يشعر بعدم الأنانية ، بل هم أصحاب إيثار على أنفسهم ، فهم لا تتعلق قلوبهم بما في أيديهم ، بل يُؤثرون غيرهم بما لديهم حتى مع الحاجة إليه ، وفيه دليل على سلامة الصدور ، وكرم الأنفس(٢٨) ، لأنهم يعطون ويقدمون حاجة الغير على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبل أنفسهم في حال احتياجهم إلى ذلك، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم(٢٩) ، والخصاصة مأخوذة من

خصاص البيت وهي الفُرَج التي تبقى بين عيدانه(٣٠) ، فكل خرق في منخل أو باب أو برقع فهي خصاص(٣١) ، والمعنى: لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم، فيعلم أن إيثارهم في الأحوال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع(٣٢) ، وهذا معناه أن الإنسان يحب ذاته فيجب عليه معالجة نفسه بإيثار الغير دائما حتى يعالج نفسه من حب الذات ، وقد علمنا النبي أن نحب لأخينا ما نحب لأنفسنا حتى يكتمل الإيمان في قلوبنا ، فعن أنس ، عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه(٣٣) ، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد ، وذلك واجب عليه أن يكون كذلك فالمؤمن أخو المؤمن يحب له ما يحب لنفسه ويحزنه ما يحزنه، قال ابن عباس: إني لأمرّ بالآية من القرآن فأفهمها ، فأود أن الناس كلهم فهموا منها ما أفهم ، وقال الشافعي: وددت أن الناس كلهم تعلموا هذا العلم ولم ينسب إلي منه شيء ، فأما حب التفرد عن الناس حبا في الذات بفعل ديني أو دنيوي فهو مذموم (٣٤).

٢- الميل إلى الرغبات ذات اللذة العاجلة.

لأن الله قد ذكر أنه ألهم النفس بالفجور والتقوى وبين أن المفلح هو من يزكي نفسه عن هواها، فقال ﷻ: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] ، يقسم الله بالنفس وتسويته إياها أنه ألهمها الفجور والتقوى، وتسوية النفس على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة، والمفلح هو من طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، والذي دساها فقد أخفى نفسه الكريمة التي ليست حقيقة

بقمعها وإخفائها بالتدنس بالرذائل ، والدنو من العيوب ، والاقتراف للذنوب ، وترك ما يكملها وينميها ، واستعمال ما يشينها ويدسيها(٣٥).

والفلاح: النجاح بحصول المطلوب، والخيبة ضده ؛ أي: أن يحرم الطالب مما طلبه، فالإنسان في الأصل يرغب في الملائم النافع ، لكن من الناس من يطلب ما به النفع والكمال الدائمان، ومنهم من يطلب ما فيه عاجل النفع والكمال الزائف ، فالأول قد نجح فيما طلبه فهو مفلح، والثاني يحصل نفعا عارضا زائلا وكمالا مؤقتا ينقلب انحطاطا ، فذلك لم ينجح فيما طلبه فهو خائب ، وقد عبر عن ذلك هنا بالفلاح والخيبة كما عبر عنه في مواضع أخر بالربح والخسارة. والمقصود هنا الفلاح في الآخرة والخيبة فيها(٣٦).

وما كان ذلك إلا لأن النفس تحب اللذة العاجلة الفانية، قال الله ﷻ

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١] ، يخاطبهم الله ﷻ أن الذي دعاكم إلى القول بذلك: محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة، ونعيمها، فأنتم تؤمنون بالعاجلة، وتكذبون بالآجلة(٣٧).

وهذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله ﷻ وتذكيره، وجعلكم تسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر مع ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها(٣٨).

والكلام مشعر بالتوبيخ ومناط التوبيخ- هو حب العاجلة مع نبذ الآخرة، فأما لو أحب أحد العاجلة وراعى الآخرة؛ أي: جرى على الأمر والنهي الشرعيين لم يكن مذموما(٣٩).

٣- تسويف التوبة.

إن النفس ترغب في التوبة إلى الله لكنها تسوّف التوبة لأجل مسمى، ولأجل التسويف، ولذلك يذكر اللهﷻ أن الإنسان يرغب في تسويف التوبة، فقالﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: ٦] ، وإنما سؤاله هنا سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، وهذا السؤال من الإنسان على وجه الاستخفاف والاستبعاد (٤٠).

فيسأل الإنسان السائر دائما في معصية اللهﷻ قدما: متى يوم القيامة؟، يعني متى يأتي تسويفا منه للتوبة(٤١).

فهو سؤال مستبعد لقيام الساعة، وقد جاء بأداة الاستفهام : (أيان) التي تدل على شدة الاستبعاد ، وهذا المتعنت المستبعد لقيام الساعة-هو الذي يقدم الفجور ويؤخر التوبة(٤٢).

٤- البحث عن مخرج للتنصل من المسئولية.

من أسوأ صفات النفس أنها بعد ندمها على فعل المعصية نجد أنها تبحث عن مخرج للتنصل من المسئولية، كما قال اللهﷻ: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزمر: ٥٧]، فالنفس تقول ذلك لقصد الاعتذار والتنصل ، فإن أذهانهم تعيدما اعتادوا الاعتذار به للنبي ﷺ ، واللهﷻ قد ذكر هنا ثلاثة أماني للنفس، أولها : الحسرة على التفريط في الطاعة، وثانيها : التعلل بفقد الهداية، وثالثها: بتمني الرجعة ، ثم أجاب الله ﷻ عن كلامهم وبدأ بالرد على التعلل بفقد الهداية مبينا أن هذا قول باطل؛ لأن الهداية كانت حاضرة والأعذار زائلة، وهو المراد بقولهﷻ: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين(٤٣).

وتلك حكلية لكلام النفس في ذلك الموقف على ترتيبه الطبيعي في جولانه في الخاطر بالابتداء بالتحسر على ما أوقعت فيه نفسها، ثم الاعتذار طمعا أن ينجيها ذلك(٤٤)

و"لو" في هذا الموضع للتمني؛ أي: ليت أن الله هداني فأكون متقيلله، فأسلم من العقاب واستحق الثواب، وليست هنا شرطية؛ لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيلمة تضمحل كل حجة باطلة(٤٥).

وقد قوبل كلام النفس بجواب يقلبله على عدد قرائنه الثلاث، وذلك بقوله ﷻ: (قد جاءتك آياتي فكذبت بها)، وهذا مقابل قول النفس: (لو أن الله هداني)، ثم بقوله ﷻ: (واستكبرت)، وهو مقلبل قول النفس: (على ما فرطت في جنب الله)؛ أي: ليست لهلية لأمرك التفريط بل أعظم منه وهو الاستكبار، ثم بقوله ﷻ: (وكنت من الكافرين)، وهذا مقلبل قول النفس: (لكنت من المتقين)، فهذه قرائن ثلاث، والمعنى: أن الله هداك في الدنيا بالإرشاد بآيات القرآن فقابلت الإرشاد بالتكذيب والاستكبار والكفر بها فلا عذر لك(٤٦).

وإنما تقول النفس هذا لقصد الاعتذار والتنصل، وهو حكلية لأقوال النفس على ترتيبها ونظمها ، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب(٤٧).

وهذه من صفات النفس السلبية السلبية بحثها عن مخرج لتتنصل من المسئولية وتلك من أقبح صفات النفس؛ لأنها تعين على المزيد من المعاصي. والله أعلم.

الفرع الثاني: طبيعة النفس البشرية بوصفها بصفات إيجابية.

إن النفس البشرية تتصف بصفات إيجابية كثيرة منها كما يأتي:

١- سرعة الاستجابة للطاعة، عندما تسمع النفس أمرا بالطاعة لله فإنها تسارع بالاستجابة لتنفيذ أمر الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾[النور: ٣٠]، هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور(٤٨).

وقوله: (يَغُضُّوا) جواب: (قل) لتضمنه معنى حرف الشرط، كأنه قيل: إن تقل لهم غضوا يغضوا، وفيه إيذان بأنهم لفرط مطاوعتهم لا ينفك فعلهم عن أمره صلى الله عليه وسلم، وأنه كالسبب الموجب له وهذا هو المشهور(٤٩).

وفيه دليل على أن المؤمن سريع الاستجابة للطاعة والاستجابة للأمر تلبية وللنهي بعدا وإعراضا. والله أعلم.

٢- الندم على فعل المعصية أو التقصير في الطاعة، وهي النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على الطاعة أو التقصير في المعصية، لكنها لا تكون محمودة إلا بشرطين اثنين هما:

١- أن يكون ندمها ولومها على الوقوع في المعصية أو التقصير في الطاعة.

٢- أن تتأثر بهذا اللوم فتعدل من ذاتها بحيث لا تقصر مرة أخرى ولا تقع في معصية.

يذكر الله سبحانه وتعالى تندّم النفس في قوله عز وجل: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦]، فيأمر الله سبحانه وتعالى العباد با تباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، حتى لا يأتي يوم

فتقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ﷻ، وظاهر القول أنه القول جهرة وهو شأن الذي ضاق صبره عن إخفاء ندامته في نفسه، فيصرح بما حدث به نفسه فتكون هذه الندامة المصرح بها زائدة على التي أسرها، ويجوز أن يكون قولا باطنا في النفس(٥٠)، فيتحسر متندما المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ(٥١).

فإذا استمر الإنسان على غفلته، فهم في أشد ندم، ولا تنفع الندامة لتفريطه في جنب الله ﷻ، وسخريته طول حياته في الدنيا حتى رأيته عيانا(٥٢).

والندم على فعل المعصية بعد الوقوع فيها من الصفات الإيجابية للنفس إذا كان للندم أثر في تعديل حال الإنسان في طاعته لربه ﷻ؛ فيكون من المفلحين. والله أعلم.

٣- الرغبة في الفوز بمغفرة الله ﷻ ورضوانه.

إن الرغبة في الفوز بمغفرة الله ورضوانه من أهم رجاء المؤمن ربه، فيذكر الله ﷻ ذلك دليلا على أنها أمنية قلبية لهم فقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٦]، هؤلاء يدعون ربهم طالبين منه مغفرة ذنوبهم، قائلين اغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك، فاستر علينا ذنوبنا، بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها، كما يرجون من ربهم أن يقيهم عذاب النار بأن يدفعها عنهم(٥٣).

ومعنى القول هنا: الكلام المطابق للواقع في الخبر، والجاري على فرط الرغبة في الدعاء، في قولهم(فاغفر لنا ذنوبنا)، وإنما يجري كذلك إذا سعى

الداعي في وسائل الإجابة وترقبها بأسبابها التي ترشد إليها التقوى، فلا يجازى هذا الجزاء من قال ذلك، ولم يعمل له(٥٤).

ومعنى ذلك أن هؤلاء لفرط رغبتهم في مغفرة الله ورضوانه قد بادروا بطلبهم المغفرة من الله وأن يقيهم عذاب النار.

وقد بين اللهﷻ أن من صفات أولي الألباب أنهم يلجأون إلى اللهﷻ طالبين منه مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم، كما قال ﷻ:﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وفي تصدير مقدمة الدعاء بالنداء إشارة إلى كمال توجههم إلى مولاهم وعدم غفلتهم عنه مع إظهار كمال الضراعة والابتهال إلى رب العباد، وفي التأكيد إيذان بصدور ذلك عنهم بالرغبة ومزيد العناية وكمال النشاط(٥٥).

فالتوكيد بطلب تكفير السيئات بعد طلبهم مغفرة الذنوب على قول عند المفسرين أن المراد بهما شيء واحد، وإنما أعيد ذلك للتأكيد؛ لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب(٥٦).

هذا إخبار من أولي الألباب بمنة اللهﷻ عليهم، وإلحاح من أولي الألباب، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمنّ عليهم بالأمان التام(٥٧).

فتوجهوا إلى الله بدعائهم أن يستر عليهم خطاياهم، وأن لا يفضحهم بها على رءوس الأشهاد بعقوبته إياهم عليها، مطالبين أن يكفرها عنهم، فيمحوها بفضله ورحمته(٥٨).

وقد توسموا أن تكون مبادرتهم لإجابة دعوة الإسلام مشكورة عند الله ﷻ، فلذلك فرعوا عليه طلبهم مغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم لما بذلوا كل ما في وسعهم من اتباع الدين كانوا حقيقين بترجي المغفرة(٥٩).

وهذا يؤكد رغبة النفس العميقة في صدق التوجه إلى ربها طالبة منه المغفرة وتكفير السيئات طمعا في الفوز بالجنة التي أعدت للمتقين. والله أعلم

المبحث الأول :

بلاغة القرآن في علاج هوى النفس بأسلوب الترهيب.

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تذكير النفس بالحساب وبالجزاء

من العلاج المؤثر لهوى النفس البشرية أسلوب الترهيب ومنه تذكير النفس بالحساب والجزاء وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في أكثر من موضع ومنه عندما أقسم الله بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ، ولكي تكون النفس اللوامة محمودة حتى تجعل صاحبها لله مطيعا فلا يعود للتقصير في الطاعة ولا في فعل المعصية فإن الله يذكر تلك النفس بأن الله قادر على جمع عظامه يوم البعث والحساب والجزاء واستدل القرآن على كمال قدرة الله في ذلك بأدق من ذلك وهو تسوية البنان، قال الله ﷻ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١ - ٤]، بعد أن يقسم الله بيوم القيامة وبالنفس اللوامة التي تلوم على ما فات وتندم، يقول الله ﷻ مذكرا الإنسان بكمال قدرته على البعث، فهل يظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟، بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فمن رحمة الله بالإنسان أن الله تعالى فرّق أصابع يديه يأخذها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه(٦٠).

يخبر الله سبحانه وتعالى عن بعض المعاندين أنهم يكذبون بيوم القيامة، فيستبعدون من جهلهم وعدوانهم قدرة الله سبحانه وتعالى على خلق عظامه التي هي عماد البدن، فيرد الله سبحانه وتعالى عليهم بكمال قدرته في أدق من هذا، وهو واقع أمام الإنسان، وهو خلق الله سبحانه وتعالى لأطراف أصابعه وعظامه المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن؛ لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله سبحانه وتعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور الكذب مع التعمد(٦١).

فهذا يؤكد أن تذكير النفس بالبعث وبالجزاء يجعل النفس تصحح من وضعها، وهذا في مواضع أخرى متعددة في القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في سورة العاديات بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى أن الإنسان لربه لكنود قال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[العاديات: ٩] مفرع على الإخبار بكنود الإنسان استفهام إنكاري عن عدم علم الإنسان بوقت بعثرة ما في القبور وتحصيل ما في الصدور، فإنه أمر عجيب كيف يغفل عنه الإنسان؟، أفلا يعلم أن الله مُطلع عليه، في سيرته وسريرته، فيُجازيه على تفريطه في جنبه وطاعته واتباع هواه وشهواته(٦٢).

وفيه علاج للكنود والجحود والشح، وتحطيم لقيد النفس وإطلاقها مع عرض مشهد البعث والحشر في صورة تنسي حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر.

وهذا يبين أن من علاج هوى النفس ترهيبها بتذكيرها بالبعث والحساب والجزاء، ومن ذلك ما ذكره الله سبحانه وتعالى في علاج المطففين في الكيل لحسابهم فهم يستوفون حقهم إذا اكتالوا، وإذا باعوا للناس يخسرونهم في كيلهم ووزنهم، فقال الله سبحانه وتعالى في علاج ذلك: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾

لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [المطففين: ٤ - ٥]، ألا يظن هؤلاء المطففون للناس في مكاييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه: هائل أمره، فظيع هوله(٦٣).

وهذا إنكار وتعجيب عظيم من حالهم، في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون التطفيف ببالهم، ولا يخمنون تخمينا لأنهم مبعوثون، فمسئولون عما يفعلون(٦٤)، فإن من يظن ذلك وإن كان ظنا ضعيفا لا يكاد يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن يتيقنه؟(٦٥).

وهذا تأكيد على أن من علاج هوي النفس تذكيرها بالبعث وبالحساب والجزاء. والله أعلم.

المطلب الثاني

تحذير النفس من الاغترار بالدنيا وزينتها.

من علاج هوى النفس البشرية تحذيرها من الاغترار بالحياة الدنيا وزينتها، وهذا المنهج سلكه القرآن الكريم في مواضع متعددة، بل بين أن الأصل في الإنسان أنه لا يغتر بالحياة الدنيا وحذره من ذلك؛ حتى لا يقع فريسة لزينة الدنيا وزخارفها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]، فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا وريلستكم التي تنزأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان، ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني الكاذبة (٦٦).

والنهي في الظاهر موجه إلى الناس؛ أي: لا تغتزوا بالحياة الدنيا، لكن الله سبحانه وتعالى أسند التغرير للدنيا؛ لأن الأصل أن الإنسان لا يغتز بها؛ لما يرى من تقلبات الدنيا وأحوالها، لكن المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل،

فيغتر بأدنى شيء وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به، ولكن إذا جاء من يغره وزين له ذلك الشيء، وهوّن عليه مفاسده وبين له منافع قد يقع في الاغترار، وقد يكون قوي الجأش غزير العقل، فلا يغتر ولا يغر (٦٧).

وقد تضمنت الآية غرورين: غرورا يغتره المرء من تلقاء نفسه ويزين لنفسه من المظاهر الفاتنة التي تلوح له في هذه الدنيا ما يتوهمه خيرا ولا ينظر في عواقبه.

وغرورا يتلقاه ممن يغره وهو الشيطان، وكذلك الغرور كله في هذا العالم بعضه يمليه المرء على نفسه وبعضه يتلقاه من شياطين الإنس والجن(٦٨).

ولذا فقد نهى الله سبحانه وتعالى الإنسان عن أن تغره الدنيا بزخارفها مع أنه هو الذي يغتر أو أن يغره الشيطان، ولكي لا يقع الإنسان فريسة للاغترار ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للحياة الدنيا في سورة الكهف وحذف كل مراحل الحياة الدنيا مبينا أن زينة الحياة الدنيا سريعة الزوال، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، يضرب الله هذا المثل لكل من يغتر بالحياة الدنيا وزينتها ليعالج قلوبهم من الاغترار، والمعنى: اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها، فهي مثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين؛ إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، كذلك هذه الدنيا بينما صاحبها قد أعجب بشبابه؛ إذ أصابه الموت، فهل يليق بالإنسان العاقل الاغترار بزخرف هذه الدار، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها؟(٦٩).

ويطوي الحق سبحانه وتعالى مراحل كثيرة في هذا التشبيه؛ حيث إن للنبات بعد أن يختلط به الماء ينبت، فيزدهر فيخضر فيثمر فيصفر، فيصير حصيدا فحطاما ثم هشيما، لكن الله سبحانه وتعالى يحذف كل تلك المراحل ويأتي بقوله عز وجل: فأصبح هشيما، ويعطف بالفاء في: (فأصبح)، للإشعار بسرعة زواله وصيرورته بتلك الصفة، فليست الفاء فصيحة، وقيل: هي فصيحة، والتقدير: فنها ومكث مدة فأصبح هشيما(٧٠)، وهكذا يطوي الحق سبحانه وتعالى الحياة كلها في هذا المثل من ماء ينزل ونبات ينمو لينضج ثم تذروه الرياح، وذلك معالجة للقلوب التي تغتر بتلك الدنيا وما فيها مع علمه التام بسرعة زوالها، لكن النفس تحتاج لتذكير دائم. والله أعلم

المطلب الثالث

ترهيب النفس من الافتتان بالشيطان.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأودع في النفس فجورا وتقوى، ولذا فإن النفس سرعان ما تميل مع وسوسة الشيطان لها باللذات العاجلة السريعة، فالله سبحانه وتعالى قد منح الشيطان المهلة عندما طلبها وأقسم بعزة الله ليغوين بني آدم أجمعين إلا المخلصين من عباد الله سبحانه وتعالى، وقد بين الله سبحانه وتعالى ما كان من حوار بينه وبين الشيطان، وبين آدم والشيطان موضحا عداوة الشيطان للإنسان في أكثر من موضع، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥] .

أي : عداوته ظاهرة بينة، فلا يألو جهداً في إغواء الناس وإضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه؛ لأنه يوغر صدور الناس بعضهم على بعض، ويزين

لهم الخطيئة والشر ، فعداوته لجنس الإنسان تحمله على أن يدفعهم إلى إضرار بعضهم ببعض(٧١) ، ولذلك فقد ذكر الله ﷻ للإنسان ما توعده الشيطان به ، فقال ﷻ مبينا ذلك على لسان إبليس اللعين : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢]، لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأستولين عليهم، وعلى أولادهم ولأستأصلنهم بالإضلال، ففي الاحتناك معنى: الاستيلاء والقيادة، فهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد(٧٢).

فهو يشير إلى تمكنه من قيادة ذرية آدم إلا القليل منهم وأنهم ينقادون له بكل سهولة، فهو يسيّرهم كما يريد من الإفساد والإغواء، كما يسيّر الفرس على حسب ما يريد راكبه، وهذا الكلام صدر من إبليس إعرابا عما في ضميره، وإنما شرط التأخير إلى يوم القيامة ليعم بإغوائه جميع أجيال ذرية آدم فلا يكون هناك جيل قد أمن من إغوائه(٧٣).

ولذلك رب العبادﷻ ينادي بني آدم محذرا إياهم أن يفتنهم الشيطان، كما أخرج أبويهم من الجنة، قال ﷻ: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٧]، يحذر الله ﷻ بني آدم من إبليس وقبيله، مبينا لهم عداوته القديمة لأبي البشر آدمعليه السلامفي سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار النعيم، إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة(٧٤).

فلا يصرفنكم الشيطان عن الدين، كما فتن أبويكم بالإخراج من الجنة بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم فيه، فتنقادون له فيفعل بكم كما فعل بأبويكم فهو لا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم إن استطاع، فعليكم أن تأخذوا الحذر منه، وأن لا تغفُلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم(٧٥)، فلا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بأن يوسوس لكم بما يمنعكم به عن دخول الجنة، وقوله: (لا يفتننكم) نهي للشيطان في الصورة، والمراد نهي المخاطبين عن متابعته وفعل ما يقود إلى الفتنة؛ أي: لا تفتتنوا بالشيطان(٧٦).

وأسند الافتتان للشيطان؛ لأن الأصل أن بني آدم ينبغي أن لا يفتتنوا لما حكاه الله سبحانه وتعالى مما وقع لأبيهم آدم، لكن النفس قد تميل معه في وساوسه مع أنه لا يعد الإنسان إلا بالفقر، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله عز وجل: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا ﴾[البقرة: ٢٦٨]، فيحذر الله عباده من وساوس هذا الشيطان اللعين مبينا أنه يعدكم بوساوسه لكم أن تفتقروا إذا أنتم تصدقتم وأديتم زكاتكم الواجبة عليكم في أموالكم، ويأمركم بمعاصي الله عز وجل، وترك طاعته، والله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون، أن يستر عليكم بصفحه لكم، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، كما يعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم، فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم(٧٧) فلا تتبعوا وساوس الشيطان الذي يأمركم بالإمساك وتخويفه لكم بالفقر، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتم، بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع

هذا، فالله ﷻ يعدكم مغفرة لذنوبكم وتطهيرا لعيوبكم، وفضلا وإحسانا إليكم في الدنيا والآخرة(٧٨).

وسمي الإخبار بحصول أمر في المستقبل وعدا مجازا؛ لأن الوعد إخبار بحصول شيء في المستقبل من جهة المخبر، فشبه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة ، ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقق، وحسن هذا المجاز هنا مشاكلته لقوله ﷻ: والله يعدكم مغفرة منه وفضلا؛ فإنه وعد حقيقي(٧٩).

وهذا تحذير من الله ﷻ للإنسان من هذا الشيطان اللعين الذي يخوف الإنسان الفقر إذا هو تصدق، بل يأمره بالفحشاء، والله يعد الإنسان بالمغفرة والمزيد من الفضل منه، فينبغي على الإنسان أن يحذر من وساوس هذا الشيطان اللعين له ؛ حتى لا يقع في المعاصي. والله أعلم.

المبحث الثاني:

بلاغة القرآن الكريم في علاج هوى النفس البشرية بأسلوب الترغيب

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: بلاغة القرآن في علاج هوى النفس بأسلوب الترغيب بالمنافع الدنيوية. وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: دعوة النفس إلى الوصول للأفضل.

إن الله ﷻ خلق الإنسان في أحسن كمال عقلي ونفسي يستطيع تنفيذ أمر الله ﷻ، فقد كون الله الإنسان تكوينا ذاتيا متناسبا ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته([٨٠]) ، لكن في الإنسان هوى يجعله يميل مع اللذة السريعة العاجلة، فرب العباد ﷻ يراعي في الإنسان هذا التقصير ، ويطالبه بمجاهدة نفسه في دفع هذا الهوى عن نفسه ، بل قد يقصر الإنسان في الطاعة فيمنحه الله ﷻ الفرصة للارتقاء بنفسه للوصول للأفضل ، ولذلك ختم الله ﷻ بعض الآيات بقوله: (غفور شكور) ، مع أن تلك الآيات تتحدث عن الطاعات.

المغفرة يختم الله ﷻ بها الآيات التي يكون سياقها ذكر ذنوب للعباد قد فعلوها، فيختم الله ﷻ تلك الآيات بالمغفرة إشارة إلى أن بعض الناس مقصرة في تأدية تلك الطاعات ، لكن هذه الآيات يدل سياقها على فعل الطاعات ، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ

﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠] ، في هذه الآيات يخبر اللهﷻ عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم اللهﷻ في الأوقات المشروعة ليلا ونهارا ، سرا وعلانية ، يرجون ثوابا عند اللهﷻ لا بد من حصوله ، ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم(٨١) ، ولأن الناس في فعل الطاعة يختلفون من حيث الخضوع والانقياد وحضور القلب، فالبعض منهم حاضر القلب خاضع منقاد بنسبة عالية، والبعض بنسبة متدنية، يختم اللهﷻ تلك الآيات التي سياقها أفعال طاعات كلها، يختمها بقولهﷻ: (غفور شكور) مع أن غفور لا تأتي إلا ختاما للآيات التي يكون سياقها ذنوب ومعاصي للعباد، لكن لتقصير البعض في تأدية الطاعة تأتي: (غفور) لبيان أن الله ﷻغفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم، شكور لحسناتهم، وهذا تعليلٌ لما قبلَه من التَّوفيةِ والزِّيادةِ؛ أي: غفورٌ لفرطاتِهم(٨٢)،شكورٌ لطاعاتِهم ومجازيهم عليها(٨٣).

فلا يسع الناس إلا عفو اللهﷻ ومغفرته؛ لأنه لن يقدّر الله ﷻأحد حق قدره وإن اجتهد ، ولو واخذ أعبد العباد بما يقع من تقصيره لأهلكه، لكنه غفور؛ أي: بمحو النقص عن العمل، وشكور ؛ أي: يقبله ويزيد عليه(٨٤) ؛ فلأن البعض تكون نسبة حضور قلبه في الطاعات عالية مرتفعة، فهؤلاء رب العباد شكور لطاعتهم، والبعض قد يقصر في تأدية تلك الطاعات فنصيبه من الختام أن الله غفور لتقصيرهم، لكنهم مطالبون برفع نسبتهم حتى تصل إلى شكور، فالمغفرة تأتي على تقصير العباد المطيعين، فبعض العباد قد قصر في تلك الطاعات، فإن طاعة الله الحق التي- هي بالقلب والعمل والخواطر لا يبلغ حق الوفاء بها كاملة ،كما ينبغي إلا المعصوم، ولكن اللهﷻ تجاوز عن الأمة فيما حدثت به أنفسها، وفيما همت به ولم تفعله،وفي اللمم، وفي محو الذنوب الماضية

بالتوبة ([٨٥])، وهذا يدل على وجوب العمل على الرقي بالنفس لأفعال الطاعات؛ حتى يصل الإنسان إلى الفوز بجنات ربه فينعم بنعيمها . والله أعلم

الفرع الثاني: ترويض النفس على تحمل المشقة في الطاعة.

إن ترويض النفس بمعنى جعلها لينة خاضعة منقادة لتتحمل المشقة في سبيل بذل الجهد في فعل الطاعة لهو من الأمور المحمودة في الإنسان؛ لأن علاقة العبد بربهﷻ علاقة متجددة بحاجة للرعاية والعناية، والاهتمام والمتابعة، كما أنها في حاجة للكدح المستمر والكبد الدءوب داخل النفس، ولكن قد تشوب هذه العلاقة شوائب كثيرة إذا غفل العبد عن ترويض نفسه ومعالجتها، فالحريص هو من يحرص على ترويض نفسه دائما للوصول بها إلى قمة الخضوع والانقياد لأمر اللهﷻ، ولا بد من الكدّ وبذل الجهد في سبيل ذلك، والله يعينه ويوفقه للمزيد من الرقي في الطاعة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾[الشورى: ٢٣]، والمعنى: ومن يعمل حسنة من المؤمنين، وهي العمل الصالح، فيطيع اللهﷻ فيه نزد له فيها حسنا، فنضاعف عمله ذلك الحسن،فنجعل له ما نشاء من الجزاء والثواب ([٨٦]).

وأصل القرف والاقتراف: قشر لحاء الشجر، والجلدة من أعلى الحرج، وما يؤخذ منه قرف، ثم استعير الاقتراف للاكتساب حسنا كان أو سيئا، وفي السيئ أكثر استعمالا([٨٧])، وخاصة إذا أطلق الاقتراف فيكون بالسيئ، لكنه هنا مقيد بالحسنة، فمعنى: ومن يقترف حسنة؛ أي: ومن يتعب نفسه ويبذل الجهد في سبيل فعل الطاعة وعده الله بالزيادة له حسنا، ولما كانت الحسنة مأخوذة من الحسن جعلت الزيادة فيها من الزيادة في الحسن ، وصار المعنى نزد

له فيها مماثلا لها، بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سببا للتوفيق لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند اللهﷻ، ويحصل له الثواب العاجل والآجل(٨٨).

وهذا يؤكد أن الإنسان مطالب بأن يبذل الجهد ويتحمل المشقة من أجل فعل الطاعة، وتلك المشقة جسدية ومعنوية ، لكن هناك المشقة المعنوية المؤلمة في النفس عندما يطالب اللهﷻ الإنسان بإنفاق ماله ابتغاء مرضات اللهﷻ ، ويطالبه بتثبيت نفسه في سبيل فعْل ذلك ، ونعلم أن المال شقيق الروح ، وكم هو عزيز على النفس ، ولأن اللهﷻ عليم بذلك، فقد ذكر أن الإنسان مطالب بتثبيت نفسه؛ حتى ينفق ابتغاء مرضات الله ، قال ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ، أي: وتثبيتا لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا، وإنما عنى الله ﷻ بذلك: أن أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد اللهﷻ إياها فيما أنفقت في طاعته بغير منّ ولا أذى، فثبّتتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة اللهﷻ، وصححت عزمهم وآراءهم يقينا منها بذلك، وتصديقا بوعد اللهﷻ إياها ما وعدها(٨٩).

فقد أنفقوا بحب ورغبة على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها، وذلك أن الإنفاق يعرض له آفتان ١- أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، ٢- أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين، فأنفقوا ابتغاء مرضات اللهﷻ لا لغير ذلك من المقاصد(٩٠).

والتثبيت: تحقيق الشيء وترسيخه، ويجوز أن يكون لكبح النفس عن التشكك والتردد؛ أي: أنهم يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البر ولا يتركون مجالا لخواطر الشح، فإن ترويض النفس على فعل ما يشق عليها له أثر في رسوخ الأعمال؛ حتى تعتاد الفضائل وتصير لها ديدنا، وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس؛ لأن المال ليس أمرا هينا على النفس، وتكون (من) على هذا الوجه للتبعيض؛ أي: تثبيتا لبعض أحوال النفس.

ويجوز أن يكون (تثبيتا)؛ أي: تصديقا لوعد الله سبحانه وتعالى وإخلاصا في الدين ليخالف حال المنافقين، فإن امتثال الأحكام الشاقة لا يكون إلا عن تصديق للآمر بها؛ أي: على تثبيت من أنفسهم، و(من) على هذا الوجه ابتدائية؛ أي: تصديقا صادرا من أنفسهم([91]).

وفيه دلالة على وجوب ترويض النفس علي بذل الجهد في سبيل أداء الطاعة وتحمل المشقة الحسية والمعنوية من أجل ذلك؛ حتى يفوز الإنسان برضوان الله سبحانه وتعالى. والله أعلم.

الفرع الثالث: دعوة النفس إلى التخلي عما يعيق الفلاح.

إن الفلاح هو الغاية العظمي التي يتمنى كل مؤمن الوصول إليها ؛ لأنه لا جزاء بعد ذلك إلا أن يرث المفلحون الفردوس الأعلى ، فبعد أن وصف الله سبحانه وتعالى المفلحين بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة([92]) ، قال عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١] ، هذا تنويه من الله سبحانه وتعالى، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم ، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفيه الحث

على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها ، فهؤلاء هم المفلحون الذين هذه صفتهم في الدنيا ، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة([٩٣]).

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺقال: "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن"([٩٤]).

لكن هناك ما يعيق النفس عن الوصول للفلاح وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم من ذلك: شح النفس، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، هذه الجملة ختم الله بها آيتين كريمتين في سورة الحشر والتغابن، فيصور الله ﷻ شح النفس أنه وباء وهلاك ودمار مطلوب من الإنسان وقاية نفسه منه ؛ لأنه مهلك مدمر ، ويفهم من هذا الجزء من الآية أن الذي لا يقي نفسه من الشح ليس من المفلحين، إذن: الشح من معوقات الفلاح فعلى الإنسان بذل جهده في وقاية نفسه منه، وفي الفرق بين الشح والبخل كلام كثير للعلماء أوجزه فيما يأتي:

قيل: أن الشح هو: البخل مع حرص، فهو أشد من البخل، وفيه الحرص على منع الخير، وقيل: الشح بمعنى اللؤم، وأن تكون النفس حريصة على المنع، يقال زند شحاح إذا لم يور نارا وإن أشح عليه بالقدح، كأنه حريص على منع ذلك.

وقيل: الشح يكون بما في أيدي الناس، وعلى ما في يده حتى لا يرى في أيدي الناس شيئا إلا تمنى أن يكون له بالحل أو بالحرام، ولا يقنع بما رزقه الله ﷻ، وقد أضيف إلى النفس في قوله ﷻ: (وأحضرت الأنفس الشح)؛ أي: جعلت حاضرة له مطبوعة عليه؛ لأنه غريزة فيها([٩٥]).

فمن لم يوق شح نفسه لم يفلح، وهو كذلك، وقيده البعض بالشح المؤدي إلى منع الحقوق التي يلزمها الشرع، أو تقتضيها المروءة، وإذا بلغ الشح إلى ذلك، فهو بخل وهو رذيلة([٩٦])، ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بنزك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه([٩٧])

وكلمة يوق التي بمعنى الوقاية، وهي: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره([٩٨]) تصور شح النفس أنه هلاك ووباء ودمار لأن الإنسان لا يقي نفسه إلا مما يهلكه، فمن يوق بتوفيق الله ﷻ، ومعونته شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها مما أمرته به، وخالف هواها بمعونة الله ﷻ وتوفيقه له، فأولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه([٩٩])، ولما كان ذلك فلاحا عظيما جيء في جانبه بصيغة الحصر، وهو قصر جنس المفلحين على جنس الذين وقوا شح أنفسهم، للمبالغة في تحقق وصف هؤلاء المفلحين ، وإضافة (شح) إلى النفس للإشارة إلى أن الشح من طباع النفس ، فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة إليها([١٠٠]).

وهذا يبين أن شح النفس مما يعيق عن الفلاح ويجب معالجة النفس من هذا الشح الذي يعيقها. ومما يعيق عن الفلاح أيضا إيثار الحياة الدنيا على الآخرة؛ ولذا فبعد أن ذكر الله ﷻ سبل الفلاح في سورة الأعلى أتى بحرف الإضراب مبينا أن الذي يعيق النفس عن الفلاح إنما هو إيثار الحياة الدنيا، قال ﷻ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[الأعلى: ١٤ - ١٦]، قد أفلح من طهر نفسه من الأخلاق

الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله ﷺ، وأقام الصلاة في أوقاها؛ ابتغاء رضوان الله ﷻ وطاعة وامتثالا لأمر الله، بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة، وزينة الآخرة خير لكم وأبقى؛ لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفد ولا تفنى([١٠١]).

وقيل: (بل)إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام، كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح:أنتم لا تفعلون ذلك، بَلْ تفضلون الدنيا، ويجوز أن يكون الإضراب إبطالا لما تضمنه قوله: (قد أفلح من تزكى) من التعريض للذين شقوا بتحريضهم على طلب الفلاح لأنفسهم ليلتحقوا بالذين يخشون ويتزكون ليبطل أن يكونوا مظنة تحصيل الفلاح، والمعنى: أهم بعداء عن أن يظن بهم التنافس في طلب الفلاح لأنهم يؤثرون الحياة الدنيا([١٠٢]).

وفي كلمة: (تؤثرون) قراءتان، قرأ أبو عمرو ويعقوب بخلف بياء الغيب، وقرأ الباقون بالخطاب([١٠٣])، وفي قراءة الغيب الضمير يعود على الأشقون ؛ أي: الكافرين، والتقدير: بل يؤثرون الأشقون الحياة الدنيا، وقراءة الخطاب يكون الخطاب لمن يؤثر الدنيا على الآخرة من المسلمين ([١٠٤])، وإن كان البعض من المفسرين([١٠٥]) يرى أن هذا خاص بالمشركين الذين تجنبوا الذكري فوصفهم الله بالأشقي إلا أنه لا يمنع أن يكون للمؤمنين حظ من هذه الموعظة على طول الدهر، وهو حظ مناسب لمقدار ما يفرط فيه أحدهم مما ينجيه الله في الآخرة إيثارا لما يجتنيه من منافع الدنيا التي تجر إليه تبعة في الآخرة على حسب ما جاءت به الشريعة، فأما الاستكثار من منافع الدنيا مع عدم إهمال أسباب النجاة في الآخرة، فذلك ميدان للهمم وليس ذلك بمحل ذم([١٠٦]).

وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا، وإقبالا عليها أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه ﷻ، وأن يوازن بين هذا وهذا([١٠٧])، وفيه دلالة على أن إيثار الحياة الدنيا وزينتها وطغيان ذلك وإهمال

أسباب النجاة في الآخرة يعيق الفلاح فليحرص العاقل على إيثار الآخرة على الدنيا وليس العكس حتى يحقق الفلاح. والله أعلم

المطلب الثاني :

أسلوب الترغيب بالثواب الأخروي. وتحته ثلاثة فروع.:

الفرع الأول: دعوة النفس إلى التنازل عن بعض ما تحب.

إن من علاج هوى النفس البشرية تعويدها على التنازل عن بعض ما تحب؛ حتى تستطيع احتواءها والسيطرة عليها، فتخضع لك في طاعتها لله، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم عند ما ذكر اللهﷻ صفات المتقين في سورة الذاريات، كانت أول صفة هي كما قال اللهﷻ: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧]، اختلف المفسرون في معنى (ما) في قوله: (ما يهجعون) على قولين:

أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره: كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه، قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا([١٠٨])، ومنع الزمخشري أن تكون نافية، وقال: لا يجوز ذلك؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، تقول: زيدا لم أضرب، ولا تقول: زيدا ما ضربت([١٠٩])،والذي منع العمل هم البصريون، وبعض النحاة أجازه مطلقا([١١٠]).

الثاني: أن (ما) مصدرية، والتقدير: كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري: أنهم كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر، فكان المحسنون المتقون هجوعهم؛ أي: نومهم بالليل

قليلا، وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع([111]).

والمقصود هنا بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله ﷻ، وأن الهجوع راحة لهم، فلو قال:(كانوا يهجعون قليلا) كان المذكور أولا راحتهم، ثم يصفه بالقلة، وربما يغفل الإنسان السامع عما بعد الكلام فيقول إحسانهم وكونهم محسنين بسبب أنهم يهجعون، ولكن قدم قوله (قليلا) ليكون السابق إلى الفهم قلة الهجوع، وهناك فرق بين قولك: فلان قليل الهجوع، وقولك: هجوعه قليل؛ لأن الغرض بيان قلة الهجوع لا بيان الهجوع بوصف القلة أو الكثرة([112])، فهم يكابدون العبادة في أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشقة العمل بالنهار إلا قليلا([113]).

وقد ذكر اللهﷻ قلة هجوعهم ولم يذكر أنهم كانوا يكثرون من قيام الليل، أو كانوا يصلون في جوف الليل، لما في ذكر الهجوع من تذكير بالراحة التي تميل إليها النفوس فتغلبها وتصرفها عن ذكر اللهﷻ([114])، فهم كانوا ينزكون رغبات أنفسهم حبا في طاعة اللهﷻ، وفي مدحهم بقلة هجوعهم دليل على أن من علاج هوى النفس أن تجعلها تتنازل عن رغباتها؛حتى تستطيع أن تجعلها خاضعة لأمر اللهﷻ.والله أعلم

الفرع الثاني: ترويض النفس على العفو عمن أساء إليها.

إن النفس ترغب في الانتقام ممن أساء إليها ولا تقبل العفو والصفح إلا بصعوبة لكن القرآن الكريم عالج النفس في هذا الموضوع؛ حيث جعله يمر بثلاث مراحل، وذلك في صفات المتقين، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ أي: والمتجرعون الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، فقد كظموا غيظهم بتجرعه ، فحفظوا أنفسهم من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه ،مع تمكنها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها، وهم يصفحون عقوبة ذنوبهم إليهم ،مع أنهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم، والله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض، والعاملون بها هم محسنون ، وإحسانهم :هو عملهم بها ([115]).

فهم إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى: كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم مع كف الشر فهم يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال([116])، وقد مدح رسول الله ﷺ: من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه، فعن سهل بن معاذ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺقال: من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله ﷻعلى رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء([117]).

وفيه ثناء على الكاظمين الغيظ ببيان عفوهم عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك، فهم إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم، وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل، فإن هؤلاء لا يعملون

بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم([118]).

وفي هذا خطوات يعلمنا اللهﷻ من خلالها مجاهدة النفس من رغبتها في الانتقام، فالخطوة الأولى: كظم الغيظ؛ أي: إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كظم القربة إذا ملأها وأمسك فمها،

والخطوة الثانية: العفو عن الناس فيما أساءوا إليهم، وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس؛ لأن كظم الغيظ قد تعترضه ندامة فيستعدي على من غاظه بالحق، فلما وصفوا بالعفو عمن أساء إليهم دل ذلك على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم، مستمر معهم. وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفس سهل ما دونها لديها،

والخطوة الثالثة: أن يحسن الإنسان لمن أساء إليه وذلك بعد أن كظم غيظه، وعفا عمن أساء إليه، فبجماعها يجتمع كمال الإحسان ولذلك ذيل الله ﷻ ذكرها بقولهﷻ:(والله يحب المحسنين)؛ لأنه دال على تقدير أنهم بهذه الصفات محسنون([119]). وهذا يدل على وجوب مجاهدة النفس في رغبتها في الانتقام في ضوء المنهج القرآني، وكذلك بين الله ﷻ أن العفو عن الذي أساء إليك فيه منفعة لك؛ حيث يجعل الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، قال ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]، هناك فرق عظيم بين من أساء إليك، ومن أحسن إليك، فمن أساء فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه؛ فإذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك،

والحنو عليك؛ حتى يصير كأنه ولي لك حميم؛ أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك([١٢٠]).

فلا يستوي الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة، وأنت مأمور بدفع السيئة بالحسنة، قال ابن عباس: أمرنا بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة، فإذا فعلت ذلك خضع لك عدوك، وصار الذي بينك وبينه عداوة، كأنه كالصديق والقريب([١٢١]).

وإنما صيغت (أحسن) بصيغة التفضيل ترغيبا في دفع السيئة بها؛ لأن ذلك يشق على النفس فإن الغضب من سوء المعاملة من طباع النفس وهو يبعث على حب الانتقام من المسيء، لكن الإنسان يتخلص من ذلك بخلق الدفع بالتي هي أحسن لمناسبة أن ذلك الدفع من آثار تفضيل الحسنة على السيئة إرشاد من الله لرسولهﷺ وأمته بالتخلق بخلق الدفع بالحسنى، فيتحول الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، حيث يصير العدو كالصديق([١٢٢]).

فعليك بترويض نفسك بإبعادها عن رغبتها في الانتقام بحيث تبين لها أن في عفوك عن من أساء إليك منفعة لك، فأنت بذلك تتقي أذاه وشره فيصبح كالولي الحميم الذي لا يأتيك منه أذى. والله أعلم

الفرع الثالث: دعوة النفس إلى المسارعة في سد الخلل وعدم الإصرار عليه

إن الله ﷻ خلق الإنسان وجعل فيه حواس الهداية، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل الكتب التي تبين المنهج الإلهي المطلوب أن يسير الإنسان عليه، والإنسان يعرف هذا جيدا لكن في النفس فجور وتقوى، مما يجعل النفس قد تزل في المعصية ولا يخلو من ذلك بشر، ولذا فقد فتح الله ﷻ باب التوبة ليتوب إليه كل من زل في معصية، وقد بين الله ﷻ من صفات المتقين أنهم إذا وقعوا في معصية يسدون الخلل بسرعة، ولا يصرون على خطئهم، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فهؤلاء إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار، فتابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله ﷻ عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه([١٢٣])، وقد ورد عن النبي ﷺ في الصحيحين حديث يذكر فيه أن الله ﷻ يقبل توبة العبد إذا رجع إلى ربه فور وقوعه في الذنب، فقد ورد في البخاري: حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام حدثنا إسحق بن عبد الله سمعت عبد الرحمن بن أبي عمرة قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال: إن عبدا أصاب ذنبا وربما قال أذنب ذنبا، فقال رب أذنبت وربما قال: أصبت فاغفر لي، فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟، غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال رب أذنبت، أو أصبت آخر فاغفره؟ فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ

به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبا وربما قال: أصاب ذنبا قال: قال رب أصبت أو قال أذنبت آخر فاغفره لي، فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟، غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء([١٢٤]).

فإذا صدر من الإنسان أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادر بسرعة إلى التوبة والاستغفار، وذكر ربه، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسأله سبحانه وتعالى المغفرة لذنوبه، والستر لعيوبه، مع إقلاعه عنها وندمه عليها([١٢٥])؛حتى يغفر الله له ذنوبه.

وفي قوله عز وجل: (والذين إذا فعلوا) إن كان عطف فريق آخر، فهم غير المتقين الكاملين، بل هم فريق من المتقين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، وإن كان عطف صفات، فهو تفضيل آخر لحال المتقين بأن ذكر أولا حال كمالهم، وذكر بعده حال تداركهم نقائصهم بسرعة، والمقصود تسديد مبادرتهم إلى استغفار الله عقب الذنب([١٢٦]).

وهذا يؤكد أن الواجب على المؤمن المتقي أن يسارع في التوبة لسد الخلل حتى يغفر الله له، ومما يؤكد ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، والمعنى: إن الذين اتقوا الله سبحانه وتعالى من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا؛ أي: إذا ألم بهم لمم من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله سبحانه وتعالى عليهم، تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعده ووعيده، وأبصروا الحق فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى فيما فرض عليهم، وتركوا فيه طاعة الشيطان([١٢٧])،

فالمتقون إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تذكروا ما أمر الله سبحانه وتعالى به ونهى عنه ، فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه([128]).

وفي كلمة "إذا" من قوله عز وجل: (إذا مسهم طائف) مع التعبير بالفعل (مسهم) الدال على إصابة غير مكينة، إشارة إلى أن الفزع إلى الله سبحانه وتعالى من الشيطان، فور ابتداء إلمام الخواطر الشيطانية بالنفس، لأن تلك الخواطر إذا أمهلت لم تلبث أن تصير عزما ثم عملا([129]).

وورد في كلمة (طائف) قراءتان متواترتان، فقرأ المدنيان وابن عامر وعاصم وحمزة، وخلف العاشر (طائف) بالألف من: طاف به إذا دار حوله فهو طائف، كذا قال الكسائي، وقال غيره: هو من طاف به من وسوسة الشيطان.

وقرأ ابن كثير والبصريان، والكسائي (طيف من الشيطان)؛ أي: لمة وخطرة من الشيطان، وكان مجاهد يقول: طيف من الشيطان غضب وحجتهم قوله قبله: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ، ولم يقل: (نازغ)، فقوله (طيف) يحتمل أن يكون مصدر (طاف) يطيف طيفا، كما يقال طاف الخيال يطيف طيفا، وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: "الطيف": الوسوسة([130]).

وللقراءتان دور في المعنى؛ حيث إن هناك شياطين من الإنس للإنسان بخلاف شياطين الجن، وهذا ثابت في القرآن الكريم، كما قال الله عز وجل: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن)، فشيطان الإنس تتناسب معه قراءة (طائف من الشيطان) أي: شيطان الإنس فهو يطوف حول الإنسان حتى يوسوس له ما يريد، وأما شيطان الجن فتتناسب معه قراءة (طيف)؛ أي: لمة وخطرة من الشيطان، فلكل قراءة دور في المعنى لا تغني عنه القراءة الأخرى. ومعنى:(تَذَكَّرُوا) عرفوا، قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة، فيذكر الله سبحانه وتعالى فيكظم الغيظ، وقال مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر الله فيدعه،

بعد أن يبصر مواقع خطاياه، وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف، فأبصر فنزغ عن مخالفة الله([١٣١]).

وأكد معنى فاء التعقيب بـ"إذا" الفجائية الدالة على حصول مضمون جملتها دفعة بدون تريث؛ أي: تذكروا تذكر ذوي عزم فلم تنزيث نفوسهم أن تبين لها الحق الوازع عن العمل بالخواطر الشيطانية فابتعدت عنها، وتمسكت بالحق، وعملت بما تذكرت، فإذا هم ثابتون على هداهم وتقواهم. ووصفهم باسم الفاعل (مبصرون) دون الفعل للدلالة على أن الإبصار ثابت لهم من قبل، وليس شيئا متجددا، ولذلك أخبر عنهم بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات([١٣٢])، وهذا يؤكد أن من معالجة النفس من الهوى سد الخلل والتوبة بسرعة وأن لا يصر على خطئه. والله أعلم.

المطلب الثالث:

بلاغة القرآن في علاج هوى النفس بأسلوب الترغيب في الفرار إلى مواطن رحمة الله.

أودع الله سبحانه وتعالى في نفس الإنسان فجورا وتقوى، ولأن النفس بطبيعتها تميل إلى الرغبات السريعة العاجلة، فإن الله سبحانه وتعالى عندما أخبر عن النفس الأمارة بالسوء أتي بعدها باستثناء لأصحاب النفوس المستثناة من كونها أمارة بالسوء؛ حيث حفظهم الله سبحانه وتعالى من تلك الصفة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: ٥٣]،أي: إن النفس لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان إلا ما رحم ربي، فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، وذلك من فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته بعبده([١٣٣]).

مع أن النفس لا تملك أن تأمر غير أنها توسوس وتزين، لكن من سرعة تنفيذ العبد لما وسوست به نفسه يكون أمرا، فهي تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله سبحانه وتعالى إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء([١٣٤]).

وقوله عز وجل: (إلا ما رحم ربي) الاستثناء متصل أم منقطع؟، فيه وجهان :

الأول : أنه متصل ،والمعنى، قيل: إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ، وقيل: إن (ما) في معنى الزمان ، فيكون مستثنى من الزمن العام المقدر، والمعنى : إن النفس لأمارة بالسوء في كل وقت وأوان طول حياة الإنسان إلا الوقت الذي تنزلت فيه رحمة ربي عليه.

الثاني : أنه استثناء منقطع؛ أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة([١٣٥]). إذن: هناك أوقات ومواضع تتنزل فيها رحمة الله سبحانه وتعالى الخاصة بعباده المؤمنين، فعلى الإنسان أن يفر إلى تلك المواضع والأزمنة؛ حتى تناله رحمة الله سبحانه وتعالى، وها أنذا أتناول تلك المواضع والأوقات التي يفر إليها المؤمن لتناله رحمة الله سبحانه وتعالى وذلك في ثلاثة فروع.

الفرع الأول : مواطن تأدية الطاعات.

من الأوقات والمواضع التي يرجو فيها المؤمن أن تتنزل فيها رحمة الله سبحانه وتعالى الخاصة وقت تأدية الطاعات، كما ورد في قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]،والمعنى: يقول سبحانه وتعالى آمرا عباده المؤمنين بإقامة الصلاة، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة، وهي: الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم، وأن يكونوا في ذلك مطيعين للرسول صلى الله عليه وسلم؛ أي: سالكين وراءه فيما به أمرهم، وتاركين ما عنه زجرهم، لعل سبحانه وتعالى يرحمهم بذلك، ولا شك أن من فعل ذلك أن الله سبحانه وتعالى سيرحمهم،كما في قوله عز وجل: (أولئك سيرحمهم الله) [التوبة: ٧١] ([١٣٦]).

هذه الآية الكريمة تدل على أن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبب لتنزل رحمة الله سبحانه وتعالى سواء قلنا إن (لعل) في قوله عز وجل: (لعلكم ترحمون) حرف تعليل أو ترج؛ لأنها إن قلنا: إنها حرف تعليل، فإقامة الصلاة وما عطف عليه سبب لرحمة الله سبحانه وتعالى؛ لأن العلل أسباب شرعية، وإن قلنا: إن (لعل) للترجي؛أي: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة على رجائكم أن الله يرحمكم بذلك؛ لأن الله ما أطمعهم بتلك الرحمة عند علمهم بموجبها إلا ليرحمهم لما هو

معلوم من فضله وكرمه ، وكون (لعل) هنا للترجي ، إنما هو بحسب علم المخلوقين([١٣٧]).

وقد جمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحات فأهمها بالتصريح وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائرها بعموم حذف المتعلق بقولهﷻ:(وأطيعوا الرسول)؛ أي: في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه، ورتب على ذلك رجاء حصول الرحمة لهم في الدنيا بتحقيق الوعد الذي من رحمته الأمن وفي الآخرة بالدرجات العلى([١٣٨]).

وبهذا يتبين أن من مواطن تنزل رحمة الله الخاصة على عباده المؤمنين وقت تأدية الطاعات كما تبين لنا فيما سبق، وها هو رب العبادﷻ يبين لنا أن القنوت في الليل لمناجاة رب العباد والخضوع والانقياد للهسبحانه وتعالى من مواطن رجاء رحمة الله، قالﷻ:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٩]، هذه مقابلة بين العامل بطاعة اللّهسبحانه وتعالى وغيره، وبين العالم والجاهل، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت؛ أي: مطيع للّه بأفضل العبادات، ثم وصفه بالخوف والرجاء ، فهو يخاف العذاب ويرجو رحمة اللّهسبحانه وتعالى، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن([١٣٩])، ولأن الإنسان محل الفتور والغفلة والنسيان، وهنا في محل الغفران، وكان لا يمكن صلاح هذا الإنسان إلا بالخوف من الله بين الله ذلك([١٤٠]).

وهنا فائدة: قوله في مقام الخوف(يحذر الآخرة)، فلم يضف الحذر إليه سبحانه وتعالى، وقال في مقام الرجاء ويرجو رحمة ربه، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى ([١٤١]). ويعضد هذا ما أخرجه الترمذي بسنده عن النبيﷺ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد الكوفي و هارون بن عبد الله

البزار البغدادي قالا حدثنا سيار هو ابن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس : أن النبي ﷺدخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك؟ قال والله يا رسول الله ! إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف ([١٤٢]). فالذي يحذر

الآخرة ويرجو رحمة ربه بطاعته وقنوته وخضوعه وانقياده وهو يصلي في جوف الليل لهو عند الله من الفائزين، فالعبادة بالليل أعون على إخلاص القلب لذكر الله، وأبعد عن مداخلة الرياء وأدل على إيثار عبادة الله سبحانه وتعالى على حظ النفس من الراحة والنوم، فإن الليل أدعى إلى طلب الراحة، فإذا آثر المرء العبادة فيه استنار قلبه بحب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهو أنه بين الخوف من سيئاته وزلاته، وبين الرجاء لرحمة ربه سبحانه وتعالى أن يثيبه على حسناته([١٤٣]). وفيه دليل على أن مواضع وزمن تأدية الطاعات لله سبحانه وتعالى- هو محل رجاء تنزل رحمة الله سبحانه وتعالى على عباده المخلصين، فليحرص المؤمن الصادق على تحري ذلك. والله أعلم.

الفرع الثاني : مواطن قراءة القرآن والاستماع والإنصات له.

قد جعل الله سبحانه وتعالى من مواضع رجاء الرحمة قراءة القرآن الكريم والاستماع والإنصات له، قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠]، إذا قرئ، عليكم، أيها المؤمنون، القرآن فأصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه لعلكم ترحمون؛ أي: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه([١٤٤]). وفي قوله: (قرئ) بالبناء لما لم يسم فاعله؛ أي: قرئ منك أو من غيرك لئلا

يكون لأحد حجة في عدم معرفته بالقراءة فهي متاحة للجميع، وهذه دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن، والحصانة من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ، والإنصات مدة القراءة، والسمع والاستماع والإنصات ثلاث مراحل، الأولى: السمع وهو أن يسمع دون أن يعطي أذنه وهو ما يحصل ولو بغير قصد، الثانية: الاستماع أبلغ من السمع، ولأنه إنما يكون بقصد ونية وتوجيه الحاسة إلى الكلام لإدراكه.

الثالثة: الإنصات وهو مرحلة أعلى، وهو السكوت بكل جوارحه لأجل الاستماع؛ حتى لا يكون شاغلا عن الإحاطة بكل ما يقرأ، فمن استمع وأنصت كان جديرا بأن يفهم ويتدبر، وهو الذي يرجى أن يرحم([١٤٥]).

فهذا الأمر عام في كل من سمع كتاب اللّه‌ﷻ يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، فمن لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب اللّه، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلما غزيرا، وإيمانا مستمرا متجددا، ولهذا رتب اللّه‌ﷻ حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير([١٤٦]). فهذا يدل على أن من مواضع تنزل رحمة الله على عباده المؤمنين قراءة القرآن الكريم والاستماع والإنصات له، فليحرص كل مؤمن على الفرار إلى تلك المواضع حتى تناله رحمة اللهﷻ.والله أعلم

الفرع الثالث : مواطن الذكر والاستغفار

من مواضع وزمن تنزل رحمة الله سبحانه وتعالى الخاصة على عباده المؤمنين مواطن الذكر والاستغفار، فبعد أن يستفهم الحق عن سبب طلبهم الاستعجال بالإتيان بالسيئة، وهي العقوبة التي أنذر الله بها من كفر، قبل أن يطلبوا الحالة الحسنة من الخيرات التي بشرهم بها في الدنيا والآخرة إن آمنوا، مخاطبا إياهم، لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؟؛ لأنهم كانوا لجهلهم يقولون إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذ واستغفرنا يظنون أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت، وإن لم تقع، فنحن على ما نحن عليه([١٤٧])، لذا رب العباد سبحانه وتعالى

يحثهم بأداة التحضيض (لولا) مخاطبا إياهم بالاستغفار لعل الله سبحانه وتعالى يرحمهم، قال الله عز وجل: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[**النمل: ٤٦**]، ويبدأ الله سبحانه وتعالى الجملة بأداة الحض (لولا)، فمن معاني لولا: أن تكون حرف تحضيض، فتختص حينئذ بالأفعال، ويليها المضارع، مثل: (فلولا تشكرون)، والمعنى: حض المخاطب وحثه على الفعل، مثل: ليتك تصدق، تريد حضه على الصدق، والتحضيض في كل هذه المعاني قد خرج إلى الحث أو الاستحثاث على الفعل([١٤٨])، فقوله عز وجل: (لولا تستغفرون الله) يحضهم ويحثهم على الاستغفار بدلا من استعجالهم السيئة، فيحرضهم على الإقلاع عن ذلك بالتوبة وطلب المغفرة لما مضى منهم، راجين أن يرحمهم الله سبحانه وتعالى، فلا يعذبهم([١٤٩]).

وهذا تنبيه لهم أن يستغفروا الله سبحانه وتعالى قبل نزول العذاب بهم، فواجب عليهم أن يطلبوا غفران الذي له صفات الكمال لذنوبهم السالفة بالرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العبادة له، لعلهم يرحمون بقبول توبتهم واستغفارهم([١٥٠])، وفيه

دليل على أن الاستغفار من مواطن رجاء تنزل رحمة الله ﷻ الخاصة بعباده، وتلك منحة من الله ﷻ لعباده؛ حيث يستطيعون إبعاد العذاب عنهم باستدعائهم رحمة الله ﷻ باستغفارهم في كل الأوقات، لعل الله يرحمهم بسبب ذلك. والله أعلم.

المبحث الثالث :

بلاغة الأسلوب القرآني في الارتقاء بالنفس البشرية وسموها .

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول : بلاغة الأسلوب القرآني في حُسْن التوكل على الله.

من بلاغة الأسلوب القرآني في علاج هوى النفس البشرية: حُسْن التوكل على الله، فقد أمر الله المؤمن بالتوكل عليه في أكثر من(٢٠) موضعا في القرآن الكريم، وأخبر أن المؤمن يتوكل على ربه في (٣) مواضع، وهذا يبين أهمية التوكل على الله ﷻ بالنسبة لعقيدة المؤمن الصحيحة، وأبيّن هنا بعض النماذج من ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[آل عمران: ١٢٢]، يختم الله ﷻ تلك الآية الكريمة بالإشارة إلى وجوب التوكل عليه وحده، مشيرا إلى أنه من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن، فليتوكل عليّ أنا، وليستعن بي أعنه على أمره وأدفع عنه؛ حتى أبلغ به وأقويه على نيته([١٥١]).

والتوكل: تفعل، من وكل أمره إلى فلان إذا اعتمد فيه كفايته عليه ولم يتوله بنفسه ، قال ابن عباس: التوكل- هو الثقة بالله ﷻ، وقال ابن فارس: هو إظهار العجز في الأمر، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وكله تكلة؛ أي: عاجز يكِل أمره إلى غيره، وقيل: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره، وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله ﷻ ([١٥٢]).

ومن بلاغة الأسلوب تقديم الجار والمجرور في قوله ﷻ: (وعلى الله)، وهو متعلق بقوله ﷻ:(فليتوكل) ، وذلك للاختصاص، ودخول الفاء هنا واقعة في جواب الشرط، والمعنى: إن فشلوا فتوكلوا أنتم، أو إن صعب الأمر

فتوكلوا[١٥٣]. فقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا إلا عليه، وأن لا يفوضوا أمرهم إلا إليه، وفيه إشعار بأن الإيمان بالله ﷻ من موجبات التوكل عليه، وحذف متعلق التوكل ليفيد العموم؛ أي: ليتوكلوا عليه ﷻ في جميع أمورهم[١٥٤].

ومن حسن التوكل على الله ﷻ أن تعمل الجوارح آخذة بكل الأسباب، والقلب لا يطلب النتيجة إلا من الله ﷻ، فهو وحده الذي يملك الثمرة والنتيجة، وهذا هو معنى الحصر والقصر هنا في تقديم الجار والمجرور، ولذلك في حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي، عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا[١٥٥].

يبين رسول الله ﷺ أن الطير هنا تحسن التوكل على الله ﷻ؛ حيث تغدو وتروح ، يعني: تأخذ بالأسباب ولا تجلس في عشها تنتظر رزقها يأتيها، فيجب عليكم أن تعلموا يقينا أن لا فاعل إلا الله، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو، ثم تسعون في الطلب بوجه جميل وتوكل على الله. فالطيور تغدو؛ أي: تذهب أول النهار، وخماصا بكسر الخاء المعجمة، جمع خميص؛ أي: جياعا، وترجع آخر النهار بطانا بكسر الموحدة جمع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد: شباعا، قال المناوي؛ أي: تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف، فالكسب ليس برزاق بل الرزاق- هو الله ﷻ، فأشار بذلك إلى أن التوكل ليس التبطل والتعطل بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب؛ لأن الطير ترزق بالسعي والطلب، فلو توكل العباد على الله ﷻ في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ﷻ لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير [١٥٦]، وهذا يبين أن من حسن التوكل على الله أن تعمل الجوارح جاهدة أخذا بالأسباب والقلب يتوكل على الله موقنا أن الله هو الرزاق، فلا يجلس معتمدا أن الرزق يأتيه دون

أن يأخذ بالأسباب، ولا يحق له الاعتماد على الأسباب وحدها، ولذلك رب العالمين يقلل من شأن السفينة التي كانت سببا في نجاة نوح ومن آمن معه فيبين أنها مكونة من ألواح ودسر وهو الموضع الوحيد الذي يذكر فيه ذلك فيذكرها في المواضع الأخرى باسم (السفينة)،أو (الفلك)، وتدل على أنها مأوى وملجأ لمن كتب الله سبحانه وتعالى له النجاة من الأهوال التي تكون بالخارج، وفي هذا الموضع الذي يدل السياق فيه أن هناك أهوالا عظيمة في الخارج نظرا للماء المنهمر من السماء، والمتفجر من الأرض التي فُجرت عيونا، فيصف الله سبحانه وتعالى بعد ذلك الفلك التي كانت سببا في النجاة، يقول عز وجل: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٣ - ١٤]، وحملنا نوحا عليه السلام إذ التقى الماء على أمر قد قدر، على سفينة ذات ألواح ودسر. والدسر: جمع دسار، والدسار: المسمار الذي تشد به السفينة؛ يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها، لكنها تجري بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح، عليه السلام ([١٥٧])، وذكر أن السفينة ذات ألواح ودسر، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر ، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، وفي ذلك إظهار لعناية الله سبحانه وتعالى بنجاة نوح ومن معه([١٥٨])، وفيه دلالة على وجوب حسن التوكل على الله وهو أن يأخذ الإنسان بكل الأسباب البشرية بالجوارح، والقلب يتوكل على الله سبحانه وتعالى موقنا أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على تحقيق نتيجة الأخذ بالأسباب. والله أعلم.

المطلب الثاني: بلاغة الأسلوب القرآني في اليقين في وعد الله.

من بلاغة الأسلوب في القرن الكريم معالجة هوى النفس باليقين في وعد الله سبحانه وتعالى، فإذا كان اليقين في وعد الله سبحانه وتعالى ثابتا، فإن النفس تجعل هواها في طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البغوي في شرح السنة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به([159])، أي يجعل الإنسان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولن يستطيع الإنسان أن يجعل هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، إلا إذا كان يقينه صادقا في وعد الله سبحانه وتعالى الحق الذي قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[لقمان: ٨ - ٩]، هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله، فيتنعمون في جنات النعيم بأنواع الملاذ والمسار، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولا، ووعد الله الحق كائن لا محالة؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، فهو الفعال لما يشاء، القادر على كل شيء([160]). فقد جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح ، فلهم بشارة بتنعمهم بنعيم القلب والروح، والبدن، وهو وعد من الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يخلف ، ولا يغير، ولا يتبدل([161]). ويبين الله لنا أنموذجا لصاحب يقين صادق في وعد الله سبحانه وتعالى، فقد باع نفسه ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، بعد أن وصف الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا، ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين([162]).

ولا يمكن أن يبيع الإنسان نفسه ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى إلا صاحب اليقين الثابت في وعد الله الحق، قال عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فمن يشري؛ أي: يبيع نفسه لله، لا يبغي ثمنا لها غير مرضاته، لا يتحرى إلا العمل الصالح، مع الإخلاص في القلب، ولا يؤثر على ما عند الله عرض الحياة الدنيا وما عند كبرائها من القصور، وهذا هو المؤمن الذي يعتد القرآن الكريم بإيمانه ([١٦٣]). فهذا القسم هو الذي تمحض فعله للخير؛ حتى بلغ غاية ذلك، وهو تعريض نفسه التي هي أنفس الأشياء عليه للهلاك لأجل تحصيل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وإنما رضي الله سبحانه وتعالى، بفعل الناس للخير الذي أمرهم به، فهم يبذلون أنفسهم للهلاك ابتغاء مرضاة الله، وهذا أعلى درجات الإيمان؛ لأن النفس أغلى ما عند الإنسان([١٦٤]).

فهؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وبذلوها طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للوفيّ الرءوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)، في هذه الآية يخبر الله سبحانه وتعالى أنهم اشنزوا أنفسهم وبذلوها، فسعدوا برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا ([١٦٥])، وهكذا فإن هؤلاء قد تيقنوا من وعد الله سبحانه وتعالى الحق، فلأجل ذلك باعوا أنفسهم ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، ففازوا بوعد الله سبحانه وتعالى الحق وهو أنهم ينعمون- بمشيئة الله- في جنات النعيم خالدين فيها لا يبغون عنها حولا. والله أعل

المطلب الثالث : بلاغة الأسلوب القرآني في تحقيق الأخوّة الإيمانية

إن الله ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الخلق جميعا، وجعل الله الأخوة الإيمانية أهم من الأخوة النسبية إذا افترقتا، ويحث الله ﷻ العباد على أن تكون العلاقات بينهم علاقة أخوة وود، حتى وهو يتحدث عن القصاص في القتلى يذكر بالأخوة في موقف من أصعب المواقف على النفس، فقال ﷻ:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وهذه الأخوة ليست إلا أخوة الإيمان، وسماه أخا استعطافا بتذكير إخوة البشرية والدين، وللإشارة إلى أن أخوة الإسلام بينهما لا تنقطع بسبب القتل([١٦٦]). ويذكر الله ﷻ أن الذي يعيق تحقيق الأخوة بين الناس إنما هو الغل، قال الله ﷻ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، الغين واللام في (غل) أصل صحيح يدل على تخلل شيء، وثبات شيء، كالشيء يغرز، من ذلك قول العرب: غللت الشيء في الشيء، إذا أثبته فيه، كأنك غرزته، والغل بالكسر، وهو الضغن ينغل في الصدر، والغش والعداوة والحقد والحسد([١٦٧])، وفي قوله: (ونزعنا ما في صدورهم من غل)؛ أي: ذهبت الأحقاد التي كانت في قلوبهم، وقيل: حقيقته–والله أعلم– أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضا في علو المرتبة؛ لأن الحسد غل، وهو أيضا كدر، والجنة مبرأة من ذلك([١٦٨]).

فالغل هو الذي يعيق تحقيق الأخوة في الدنيا ولذلك رب العباد ذكر ثلاث صفات تجب في المؤمن لتحقيق الأخوة، وكلها تؤكد على تجاوز هذا الغل الذي في الصدور، قال الله في شأن الأنصار الذين أحسنوا استقبال إخوانهم المهاجرين متجاوزين هذا الغل، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، في تلك الآية الكريمة يذكر الله ﷻ صفات الأنصار في حسن استقبالهم لإخوانهم المهاجرين وما قدموا من تضحيات في سبيل تحقيق الأخوة فضربوا بذلك أروع المثل للأخوة الإيمانية وتلك الصفات الثلاثة ذكرها الله ﷻ حتى يمتثلها المجتمع المسلم لتحقيق الأخوة فيما بينهم ويتجاوز الغل الذي يعيق الأخوة في المجتمع، وتلك الصفات الثلاثة ذكرها الله مرتبة في الآية كما يأتي:

الصفة الأولى: يحبون من هاجر إليهم، فهم يحبون من ترك منزله، وانتقل إليهم من غيرهم، وعني بذلك الأنصار يحبون المهاجرين([١٦٩])، وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوة الإسلام؛ إذ أحبوا المهاجرين لحبهم للإيمان، وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم. ([١٧٠]).

ولو نظرنا إلى حقيقة الأمر في الواقع الآن، فإن الإنسان قد يتحرج من القادم من الخارج فيتضايق ويتساءل بينه وبين نفسه عن سبب قدومه، ولذلك كان التعبير القرآني دقيقا لقوله: (من هاجر إليهم)، ولم يقل: (يحبون إخوانهم)، وإنما آثر (من هاجر إليهم) ليشير إلى أن المؤمن عليه أن يتصف بتلك الصفة؛ حتى يستطيع مجاوزة الغل في صدره لتحقيق الأخوة.

الصفة الثانية: ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا.

من صفات الأنصار في حسن استقبالهم للمهاجرين التي ينبغي أن يأخذها سبيلا له المجتمع المسلم؛ حتى تتحقق الأخوة الصادقة أنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أعطاه الله للقادم من الخارج، فالله ﷻ يعطي من يشاء ويمنع عمن يشاء، ولذلك ما كان الأنصار يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله، وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها([١٧١]).

فهم لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون، فأثنى الله عليهم بعدم الحسد، وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة؛ لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة، فكل ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة([١٧٢]).

ولأن الإنسان قد يجد في صدره حاجة مما يعطيه الله ﷻ للقادم من الخارج هذا، فيحزن الإنسان بسبب ذلك فكانت تلك الصفة الثانية التي تعين على تحقيق الأخوة الصادقة.

الصفة الثالثة: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

من الصفات التي تجعل الإنسان يتحلى بتحقيق الأخوة ولا يجد غلا في صدره أن يؤثر غيره على نفسه؛ حتى ولو كان في أشد الحاجة، فكان من أهم تلك الصفات الإيثار، وهو: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهذا منتهى الإيثار في الأخوة ([١٧٣])، وذلك في منفعة أنت قادر على الاختصاص بها([١٧٤]).

والإيثار من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله ﷻ مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها([١٧٥]). فينبغي لكي تعالج نفسك من الغل لتحقيق الأخوة أن تؤثر غيرك على نفسك كما كان يفعل الأنصار فكانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهي: شدة الاحتياج من شدة الفقر، وأصل ذلك في الفرجة أو الخلة، وعبر القرآن الكريم عن الفقر الذي لم يسد بالخصاصة، كما عبر عنه بالخلة؛ لأن الشيء إذا انفرج وَهَى واختل، وكل خلل أو خرق يكون في منخل أو باب أو سحاب أو برقع فهو خصاص([١٧٦]).

وهذا يدل على أن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال ، ولكنه عن حاجة وخصاصة، وهي الفقر، ومع ذلك؛ فإن نفوسهم الطيبة لم تطمح إلى شيء منه ولو كانت في حاجة له([١٧٧]). والخصاصة- هي الفرجة في باب البيت، والخص بيت من قصب أو شجر، وسمي بذلك لما يرى فيه من الخصاصة؛ أي الفرج([١٧٨])، وهذا يدل على أن الإيثار يكون بما هو زائد على ما يحتاج إليه الإنسان، فليس بمقبول أن يؤثر الإنسان أخاه على نفسه بما يملك من أصول يحتاج لها، وإنما يكون لديه الأصل ويحتاج للوصول إلى الكمال، فيؤثر أخاه حينئذ على نفسه بمعنى أن يعطي أخاه شيئا مما يملكه وليس بكل ما يملكه إلا إذا كان لا يحتاج إليه وهذا ما يفهم من التعبير بالخصاصة ومعناها، وهذا يبين أن الإيثار على النفس علاج لهوى النفس والغل الذي يعيق تحقيق الأخوة، فليتعلم كل واحد أن يؤثر على نفسه حتى ينجو من الحقد الذي ينغل في صدره تجاه إخوانه.   والله أعلم.

المطلب الرابع : بلاغة الأسلوب القرآني في تقويم الإنسان لذاته.

إن الله ﷻ خلق الإنسان في هذه الدنيا ليعبده وحده ، ولا يشرك به شيئا ، يقول الله ﷻ :   ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ؛ أي : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي ، لا لاحتياجي إليهم، فالخلق ليس إلا للعبادة؛ لأن المقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم بذلك، وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان ([١٧٩]) ، فهذه هي الغاية التي خلق الله ﷻ الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل- عليهم السلام-يدعون إليها ، وهي عبادته ، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه ، والإعراض عما سواها([١٨٠]). وأودع الله ﷻ في الإنسان حواس الهداية ليهتدي من شاء أن يهتدي ، وجعل في الإنسان تقويما لذاته، فجعل الإنسان على نفسه بصيرة ،

قال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[القيامة: ١٤ - ١٥]،

بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به، وذلك أن الله ﷻ أخبر عن الإنسان أن عليه شاهدا من نفسه، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحق، فشهادة نفسه عليه به أحق وأولى من اعتذاره بالباطل([١٨١]).

فالإنسان شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، قال مجاهد: ولو جادل عنها فهو بصير عليها ، وقال قتادة: ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه([١٨٢]). وباعتبار أن الإنسان مراقب على نفسه فهو يقوّم ذاته دائما؛ حتى يطمئن على حاله، ولذلك كانت بصيرة بالتاء مبالغة في رقابته على نفسه ومتابعتها ، وفي سبب ورود التاء في (بصيرة) قولان كما يأتي:

١- قيل؛ لأن المراد بالإنسان ها هنا الجوارح؛ لأنها شاهدة على نفس الإنسان، فكأنه قال: بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة، والجوارح مؤنثة، فأنث الخبر عنها (بصيرة).

٢-وقيل: هذه الهاء في (بصيرة) هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة، كالهاء في قولهم: داهية وعلامة وراوية([١٨٣])، فالتاء هنا للمبالغة في كون الإنسان على نفسه بصيرة؛ أي: أنه يراقب نفسه ويقوم ذاته دائما، ومما يؤكد ذلك أن الله ﷻ قد أخبر أن في النفس هوى وأن الإنسان- هو المطالب بنهي نفسه عن الهوى؛ حتى تكون الجنة مأواه، وهذا تقويم للذات أيضا، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]، وأما من خاف القيام بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ، ونهى نفسه عن هواها

فيما يكرهه الله ، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه ، فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة([١٨٤]) ، فمن آثر هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيدها عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاهد الهوى والشهوة الذين يصدونه عن الخير، فهو من الفائزين برضوان ربه سبحانه وتعالى ([١٨٥]).

وهذا تقويم للذات؛ حيث يجعل الله سبحانه وتعالى الإنسان ينهى نفسه عن الهوى العالق في نفسه، فهو ناه ومنهي في وقت واحد، بحيث تكون نفس الإنسان بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات، وهو ينهاه عن هذه الدعوة، وهذا يشبه ما يسمى بالتجريد([١٨٦]).

والتجريد في اللغة: قشر الشيء، كقشر اللحاء عن الشجرة حتى تكون مجردة من لحائها، وإزالة ما على الشيء من ثوب ونحوه، وتعريته.

وفي الاصطلاح: أن ينتزع المتكلم الأديب من أمر ما ذي وصف فأكثر أمرا آخر فأكثر مثله في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة، مثل أن تقول: لي من فلان صديق حميم([١٨٧]) ، فكأنما جرد فلانا من كل ظواهره واستخرج منه صديقا حميما، قال "أبو علي الفارسي: في سبب تسمية هذا النوع بالتجريد : " إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامنا فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردا عن الإنسان ، كأنه غيره ، وهو هو بعينه"([١٨٨]) .

وأصل الهوى: مطلق الميل، وشاع في الميل إلى الشهوة، وسمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، وهو موجود في كل نفس، وترغب فيه قوى النفس بما يخالف الحق والنفع([١٨٩]).

ونَهْيُ النفس الأمارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير([١٩٠]).

فمن أفضل الأعمال مخالفة الهوى، والإنسان مطالب أن ينهى نفسه عن هواها وذلك تقويم للذات، فأحرص الناس على الإنسان- هو نفسه وذلك من بلاغة الأسلوب. والله أعلم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمدا كثيرا أن وفقني لإتمام هذا البحث المبارك بإذن الله، فقد قضيت أياما عديدة مع بلاغة الأسلوب في علاج هوى النفس، وكان موضوعا ماتعا شيقا لما فيه من بلاغة ولطائف وفوائد جمة، وكان توفيق الله ﷻ لي في إتمام هذا البحث وقد خلصت في نهايته إلى نتائج من أهمها:

أهم النتائج:

١- أن الله ﷻ وضع للنفس علاجا لما أودع فيها من فجور بطرق شتى، وأساليب متنوعة متعددة منها الترغيب ومنها الترهيب.

٢- أن لأساليب الترغيب أثرا أكبر في علاج هوى النفس مع مراعاة جانب الترهيب.

٣- أن الفرار إلى مواطن تنزل الرحمة يجعل النفس تفر إلى حيث ما يرغبها في التقوى ويبعدها عن كل ما يجلب لها المعصية.

٤- نفس المؤمن سريعة الاستجابة للخير لكنها تحتاج إلى من يأخذها إلى الخير.

٥- حسن التوكل على الله واللجوء للقرآن وذكر الله ﷻ والاستغفار فيه علاج لهوى النفس.

٦- الإيمان بالله وتقويم الذات ومراقبة الإنسان لنفسه من أفضل ما يجعل هوى النفس يميل إلى أن يكون تبعا لما جاء به النبي ﷺ.

من أهم التوصيات:

١- في القرآن الكريم كنوز ضخمة من أسرار التعبير القرآني تحتاج إلى جهود الباحثين لإبرازها للناس حتى يستفيدوا منها في حياتهم.

٢- دراسة النفس وطرق معالجتها في ضوء القرآن الكريم من أهم ما يحتاجه الشباب لوقايتهم من الانحراف.

٣- على الباحثين إبراز ما في القرآن من علاج للنفس حتى يكون عونا للشباب في فهم القرآن الكريم فهما صحيحا.

هذا -والله أعلم- وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان وما كان من صواب فمن توفيق الله ﷻ لي، وأسأله ﷻ التوفيق والعون والسداد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

د/ محمود سعد عبد الحميد شمس

الأستاذ المشارك بقسم القراءات

بكلية الشريعة والأنظمة- جامعة الطائف

المراجع

١- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن محمد "جامع الأصول من أحاديث الرسول، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، سنة ١٤٠٠، ١٩٨٠م.

٣- ابن الأثير،" علي بن أبي الكرم بن محمد " النهاية في غريبالحديث "القاهرة ط دار إحياء التراث العربي ط الأولى ١٤٢٢ ه

٤- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق:د. عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ.

٥- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٦- ابن عاشور ،محمد الطاهر "التحرير والتنوير"تونس ط دار السداد التونسية ١٩٨٤ م

٧- ابن فارس، أحمد زكريا " معجم مقاييس اللغة"، بيروت، ط دار الفكر،(د.ت).

٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين

٩- بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ .

١٠- ابن منظور، جمال الدين " لسان العرب " بيروت — دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٩٥م.

١١- الأصفهاني الراغب : المفردات في غريب القرآن، ت وائل عبد الرحمن، عمان، المكتبية التوفيقية، ٢٠٠٢م.

١٢- أنيس، إبراهيم" المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي سنة ١٩٩٩م.

١٣- البخاري، محمدبنإسماعيل" الكتب الستة - صحيح البخاري ، الرياض ، ط: مكتبة الرشد، ، ط:الأولى ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

١٤- الترمذي ، محمد بن عيسى" سنن الترمذي" اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة، الرياض، ط: مكتبة الرشد، ، ط: ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٥- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

١٦- الجرجاني، علي بن محمد" التعريفات"تونس، السداد التونسية، ط١ ، سنة ١٩٧١م.

١٧- الجوزية،ابن القيم"شفاء العليل في مسائل القضاء والقدروالحكمة والتعليل"القاهرة ط دار الجيل للطباعة د. ت

١٨- الجوهري ، إسماعيل : الصحاح تاج اللغة، تحقيق أحمد عطا : ط المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٢هـ.

١٩- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري" المستدرك"بيروت، ط دار الفكر (د.ت).

٢٠- الحموي، غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١: ١٤٠٥هـ .

٢١- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، بيان إعجاز القرآن، ضمن: (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، مصر ، دار المعارف.

٢٢- مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

٢٣- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدن، إشراف عبد الستار فتح الله سعيد، مكة المكرمة

٢٤- الذهبي ، محمد " سير أعلام النبلاء" ، بيروت ط: المكتب الإسلامي، د.ت .

٢٥- الرازي ، محمد فخر الدين "مفاتيح الغيب "القاهرة ط الإمام ١٣٩٩هـ الأولى.

٢٦- الزجاج، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ط : عالم الكتب بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٧- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط: دار المعرفة، الطبعة الثانية.

٢٨- زقزوق ، محمودحمدي" المسلمون في مفنزق الطرق" ، القاهرة ط: دار الرشاد، ، ٢٠٠٨م .

٢٩- الزمخشري ،محمود بن جار الله "الكشاف"وبهامشه الإنصاف لابن المنير، القاهرة المكتبة المصرية د.ت

٣٠- زمزمي، د. يحيى محمد، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، ط: دار المعالي، الدمام، السعودية، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ .

٣١- السامرائي، الدكتور. فاضل صالح، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم.

٣٢- السجستاني، سليمانبنالأشعث" سنن أبي داود "، اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، الرياض ، ط: مكتبة الرشد،١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٣٣- السعدي ، الشيخ عبد الرحمن : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعودية – جدة ط المدني ٤/١٩٨

٣٤- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.

٣٥- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ط: المكتبة الثقافية بيروت لبنان ، ١٩٧٣م.

٣٦- الشاطبي، أبي إسحاق " الاعتصام". بيروت، ط دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٨٦م

٣٧- ضيف، شوقي " المعجم الوجيز"، القاهرة (مجمع اللغة العربية) وزارة النزبية والتعليم، سنة ١٩٩٠م.

٣٨- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط: مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٣هـ.

٣٩- الطبراني، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير ، ط/ الدار العربية للطباعة بغداد ١٣٩٨هـ

٤٠- الطبري ، محمد بن جعفر، جامع البيان، القاهرة ط دار إحياء النزاث العربي ١٤١١هـ

٤١- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مصر، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

٤٢- العكبري، أبو البقاء، الكليات، بيروت، دار إحياء النزاث العربي، ط١ ١٩٧٩م.

٤٣- العمادي، لأبي السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط: بيروت، دار إحياء النزاث العربي ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

٤٤- عونى، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للنزاث.

٤٥- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥م.

٤٦- الفراء ، لأبي زكريا يحي بن زياد ، معاني القرآن ، ط: مصر، دار المصرية للتأليف والنزجمة، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى، محمد على نجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

٤٧- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،طبعة الثانية ١٣٧١هـ.

٤٨- الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير، سوريا ، دار الفكر، سنة ١٩٨٥م، ٢١٥.

٤٩- القاسمي ، جمال الدين " محاسن التأويل" ، بيروت ، ط دار العلم للملايين، (د-ت)

٥٠- القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

٥١- القرطبي ،محمد بن أحمد" الجامع لأحكام القرآن" ،القاهرة دار الكتب العصرية ط ١٤ ١٩٣٤ م

٥٢- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار الجيل ، الطبعة: الثالثة.

٥٣- القزويني ،محمد بن يزيد" سنن ابن ماجه" اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة ، الرياض، ط: مكتبة الرشد،١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٥٤- الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٥٥- المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٦- المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

٥٧- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق:

د فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

٥٨- المودودي، لأبي الأعلى، مبادئ أساسية لفهم القرآن ، تعريب خليل أحمد الحامدي ، ط: دار العلم للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٣٩١هـ.

٥٩- النسائي ، أحمد بن شعيب: سنن النسائي،للإمام اعتنى به وزوده بالحكم على الأحاديث ودققه رائد صبري أبي علفة، الرياض ط: مكتبة الرشد، ،، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٦٠- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ

٦١- النيسابوري، مسلم بن الحجاج " صحيح مسلم"، الكتب الستة، الرياض، مكتبة الرشد، ط١ ، ١٤٢٦-٢٠٠٥م.

المراجع

(١)-انظر: القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٥.

(٢)-انظر:البغوي، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/٤٢٧، القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٥

(٣)-الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٣٠/٤٨ بتصرف.

(٤) - انظر: ابن منظور، لسان العرب ، محمد بن مكرم ٨/٤١٩، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/٣٠١، ٣٠٢مادة: بلغ.

(٥) - ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ٤/٣٨٠

(٦) - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ١/٣٠١، ٣٠٢مادة: بلغ.

(٧) - القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة ١/١٣.

(٨) - الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات ١/٢٨٩بتصرف.

(٩) - المدائني، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧/٥٢.

(١٠) - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ١/١٤٩بتصرف.

(١١)- حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطابى البستى كان فقيها أديبا محدثا ولد في رجب سنة ٣١٩هـ ، وتوفي ببلده بُست سنة ٣٨٨هـ ، وقيل ٣٨٦هـ . والأول أصح.انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٨ ، معجم الأدباء٣/٢٥١ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/ ٢١٤.

(١٢)- انظر: الخطابى، حمد بن محمد بن خطاب، بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٢٩.

(١٣)-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ٣/٩٢.مادة: سلب.

(١٤)-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة ١/٣٠٤مادة: سلب.

(١٥)-الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني تاج العروس من جواهر القاموس ٣/٧١، مادة: سلب.

(١٦)-الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص: ٨٢.

(١٧)- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الأصل، دلائل الإعجاز في علم المعاني ١/ ٤٦٩.

(١٨)- حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القَرطاجَنّي، أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر، من أهل قرطاجنة بشرقي الأندلس تعلم بها وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيليّة، ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمّر، وتوفي بها ٦٨٤هـ من كتبه:(سراج البلغاء) طبع طبعة أنيقة محققة.انظر: الزركلي،خير الدين بن محمود، الأعلام٢/ ١٥٩

(١٩)- القرطاجنّي، حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص: ١١٦.

(٢٠)- انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (نفس).

(٢١)- انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفه النفس،ص:١٥، ١٦.

(٢٢)- انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية١/٨٩٧.

(٢٣)- انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات١/١٥٦١.

(٢٤)-الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ٦/١٥، مادة: هوي.

(٢٥)-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ٥٤٨/١، مادة: هوي.

(٢٦)-انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٨/ ٤١١، ٤١٢.

(٢٧)-انظر: الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان ١٨/ ٤٠٩

(٢٨)-انظر: الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان ، ١٨/ ٤٠٩.

(٢٩)-انظر: الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان، ٢٣/ ٢٨٤، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم٨/٧٠.

(٣٠)-انظر: الألوسي. شهاب الدين محمود .روح المعاني ١٤/ ٢٤٦.

(٣١)-انظر: الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير ٥٠٨/٢٩.

(٣٢)-انظر: ابن عاشور.محمد الطاهر.تفسير التحرير والتنوير ٨٤/٢٨.

(٣٣)-انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر ١/ ١٤ الحديث رقم ١٣،باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٣٤)-انظر: ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١/ ٤٥،٤٦.

(٣٥)-انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٩٢٦.

(٣٦)-انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣٧)-انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٢٤/ ٧٠.

(٣٨)-انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨٩٩.

(٣٩)-انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٢٥.

(٤٠)-انظر: ابن جزي، حمد بن أحمد،التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٣٣،ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن ٨/ ٢٧٧.

(٤١)-انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٢٤/ ٥٤.

(٤٢)-انظر: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، د/ فاضل السامرائي ١/ ٧.

(٤٣)-انظر: الرازي.فخر الدين محمد. التفسير الكبير ٢٧/ ٤٦٧.

(٤٤)-انظر: ابن عاشور.محمد الطاهر.تفسير التحرير والتنوير ٢٤/ ١١٨.

(٤٥)-انظر: السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: ٧٢٨.

(٤٦)-انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ٢٤/ ١١٧.

[٤٧](٤٧)-انظر: الزمخشري. محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل ٤/ ١٣٨.

(٤٨)-انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٨)، السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن٥٦٦.

(٤٩)-انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني٩/٣٣٣.

(٥٠)-انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ٢٤/ ٤٥.

(٥١)-انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٧/ ١١٠.

(٥٢)-انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٧٢٧.

(٥٣)-انظر:الطبري، محمد بن جرير،جامع البيان،٦/ ٢٦٣،ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم٢/ ٢٣.

(٥٤)-انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ٣/ ٤٢.

(٥٥)-انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ٢/ ٣٧٣.

(٥٦)-انظر: الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير، ٩/ ٤٦٧.

(٥٧)-انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ١٦١.

(٥٨)-انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٧/ ٤٨٢.

(٥٩)–انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ٣/ ٣١٠.

(٦٠)–انظر: الطبري، ابن جرير، جامع البيان ٢٤/ ٤٨، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم٨/٢٧٦.

(٦١)–انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨٩٨.

(٦٢)–انظر: ابن عاشور،محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٠٦، ابن عجيبة، أحمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن ٧/ ٣٤٢

(٦٣)–انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٢٤/ ٢٧٨.

(٦٤)–انظر: القرطبي ، محمد الأنصاري .الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٥٤.

(٦٥)–انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ١٥/ ٢٧٧

(٦٦)–انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٢٠/ ٤٣٩.

(٦٧)–انظر: الرازي.فخر الدين محمد.التفسير الكبير ٢٦/ ٥.

(٦٨)–انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٥٩.

(٦٩)–انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣/ ٢٨٣، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٤٧٨.

(٧٠)–انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني،٨/ ٢٧١.

(٧١)–انظر: أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤/ ٢٥٣، ابن عاشور ، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ١٢/ ٢١٤.

(٧٢)–انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ١٧/ ٤٨٨.

(٧٣)–انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ١٥/ ١٥١.

(٧٤)–انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٠٢.

(٧٥)–انظر: القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٨٦، السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٢٨٦.

(٧٦)–انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ٤/ ٣٤٤.

(٧٧)–انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان٥/٥٧١.

(٧٨)–انظر: السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: ١١٥.

(٧٩)–انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ٢/ ٥٢٩.

(٨٠) – انظر: ابن عاشور.محمد الطاهر.تفسير التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٢٤.

(٨١) – انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم٦/ ٥٤٥.

(٨٢) – فرط في الأمر،أي: قصر فيه وضيعه حتى فات، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم،لسان العرب ٧/ ٣٦٦.

(٨٣) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٢٠/ ٤٦٤.

(٨٤) – انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٦/ ٢٢٤.

(٨٥) – انظر: ابن عاشور.محمد الطاهر.تفسير التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٢٤.

(٨٦) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٢١/ ٥٣٠.

(٨٧) – انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن ص: ٦٦٧، السمين الحلبي، أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،٥/ ١٢٣.

(٨٨) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٢٥/ ١٤٨السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٧٥٨.

(٨٩) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٥/ ٥٣١.

(٩٠) – انظر: السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ١١٤.

(٩١) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٢/ ٥٢٢.

(٩٢) – انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٦٤.

(٩٣) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ١٩/ ١٢، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن ٥٤٧.

(٩٤) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٩٠) ، (٧٤٢٣) عن أبي هريرة، ولم يعزه صاحب التحفة إلى غير البخاري، انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٦٤.

(٩٥) – انظر: العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية ص: ٢٩٥،٢٩٦، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ٤٤٦، الجرجاني،علي بن محمد، التعريفات ٦٢.

(٩٦) – انظر: الشنقيطي. محمد الأمين .أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٣١٧.

(٩٧) – انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨٥٠.

(٩٨) – انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص: ٨٨١

(٩٩) – انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف٤/ ٥٠٥،الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ١٤/ ٢٤٧.

(١٠٠) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٥٩.

(١٠١) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان،٣٧٥/٢٤، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن (٨/ ٣٨١، ٣٨٢.

(١٠٢) – انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ،٣٢٢/١٥، ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٨٨.

(١٠٣) – انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٠٠.

(١٠٤) – انظر:القرطبي ، محمد الأنصاري .الجامع لأحكام القرآن٢٣/٢٠، القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٣٧١/٢.

(١٠٥) – انظر: البغوي، الحسين بن مسعودٍ، معالم التنزيل في تفسير القرآن٤٠٣/٨، الرازي.فخر الدين محمد.التفسير الكبير ٣١/ ١٣٦.

الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ١٥/ ٣٢٢.

(١٠٦) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٠.

(١٠٧) – انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٥١٦.

(١٠٨) – انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤١٧..

(١٠٩) – انظر: الزمخشري. محمود بن عمر.الكشاف عن حقائق التنزيل ٤/ ٣٩٩.

(١١٠) – انظر: الألوسي. شهاب الدين محمود .روح المعاني١٤/٩.

(١١١) – انظر:ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن ٧/ ٤١٧، السعدي،عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن ٨٠٨.

(١١٢) – انظر: الرازي.فخر الدين محمد.التفسير الكبير ٢٨/ ١٦٧.

(١١٣) – انظر: الألوسي. شهاب الدين محمود .روح المعاني١٤/٩.

(١١٤) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٢٧/ ١٧.

(١١٥) – انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ٢/ ٢١٤، ٢١٥.

(١١٦) – انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٢٢.

(١١٧) - أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ٤/ ٢٤٨، رقم ٤٧٧٧باب من كظم غيظا.

(١١٨) - القرطبي، محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٠٧،السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن ١٤٨.

(١١٩) - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٣/ ٢٢٢.

(١٢٠) - انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٨١.

(١٢١) - انظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٧/ ١٧٤.

(١٢٢) - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير ٢٥/ ٥٨.

(١٢٣) - انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٢٣.

(١٢٤) - انظر:البخاري، محمد إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، برقم ٧٠٦٨، ٦/ ٢٧٢٥،باب يريدون أن يبدلوا كلام الله

(١٢٥) - انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن ص: ١٤٨.

(١٢٦) - انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٣/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(١٢٧) - انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ١٣/ ٣٣٤.

(١٢٨) - انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل ٢/ ١٩١.

(١٢٩) - انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٨/ ٤٠٤.

(١٣٠) - انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان ١٣/ ٣٣٤، ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٧٥، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات ص: ٣٠٥)، ٣٠٦.

(١٣١) - انظر: البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣١٨/٣.

(١٣٢) - انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٨/ ٤٠٥.

(١٣٣) – انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٤٠٠.

(١٣٤) – انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان١٦/١٤٢.

(١٣٥) – انظر: الرازي.فخر الدين محمد. التفسير الكبير ١٨/ ٤٧١، الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف، الدر المصون في علم الكتاب المكنون ص: ٢٥٨١.

(١٣٦) – انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم٦/٨١.

(١٣٧) – انظر: الشنقيطي،محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ٥٥٤.

(١٣٨) – انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ٢٣٢.

(١٣٩) – انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن،ص ٧٢٠.

(١٤٠) – انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/ ٤٦٧.

(١٤١) – انظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٥٢.

(١٤٢) – الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣/ ٣١١، الحديث رقم ٩٨٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبيﷺمرسلا، قال الشيخ الألباني: حسن.

(١٤٣) – انظر: ابن عاشور ،محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير٢٣/٣٤٦.

(١٤٤) – انظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان١٣/٣٤٤.

(١٤٥) – انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار ٩/ ٤٦١.

(١٤٦) – انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٣١٤.

(١٤٧) – انظر: الزمخشري، محمود بن عمر،الكشاف عن حقائق التنزيل ٣/ ٣٧١.

(١٤٨) – انظر:المرادي، حسن بن قاسم، الجني الداني في حروف المعاني ص: ٦٠٦، عوني ، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة ٢/ ١١٠.

(١٤٩) – انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ١٩/ ٢٧٣.

(١٥٠) – انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٤/ ١٧٥، الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني ١٠/ ٢٠٥.

(١٥١) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٧/ ١٦٨.

(١٥٢) – انظر: الرازي.فخر الدين محمد.التفسير الكبير ٨/ ٣٤٨، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير ١/ ٣٢٠.

(١٥٣) – انظر: الحنبلي، سراج الدين ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ٥/٥١٢.

(١٥٤) – انظر: الألوسي.شهاب الدين محمود. روح المعاني ٢/ ٢٥٩.

(١٥٥) – الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، سنن الترمذي٤/١٥١، كتاب:أبواب الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم ٢٣٤٤،وقال: حديث حسن صحيح.

(١٥٦) – انظر: المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٧، ٨.

(١٥٧) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٢٢/ ٥٧٩.

(١٥٨) – انظر: الرازي.فخر الدين محمد. التفسير الكبير ٢٩/ ٢٩٧.

(١٥٩) – انظر:البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة ١/ ٢١٢، برقم ١٠٤ ، باب: رد البدع والأهواء.

(١٦٠) – انظر:ا ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٣٢.

(١٦١) – انظر: السعدي،عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٦٤٦.

(١٦٢) – انظر:الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير ٥/ ٣٤٩

(١٦٣) – انظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار ٥/ ٢١٠.

(١٦٤) – انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير ٢/ ٢٥٧.

(١٦٥) – انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٩٤.

(١٦٦) – انظر:الرازي،فخر الدين محمد،التفسير الكبير ٢/ ٢٧٢،الألوسي، شهاب الدين محمود،روح المعاني ١/ ٤٤٧.

(١٦٧) – انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٧٥، ٣٧٦ ابن منظور، محمد بن مكلرم، لسان العرب ١١/ ٤٩٩،الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس٣٠/ ١١٤.

(١٦٨) – انظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٣٩.

(١٦٩) – انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٢٣/ ٢٨٢.

(١٧٠) – انظر: ابن عاشور.محمد الطاهر.تفسير التحرير والتنوير ٢٨/ ٨٢.

(١٧١) – انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨٥٠.

(١٧٢)– انظر:الرازي،فخر الدين محمد،التفسير الكبير ٣/ ٦٤٦،القرطبي، محمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٣

(١٧٣)– انظر: الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات ص: ٥٩.

(١٧٤)– انظر: ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله، شرح نهج البلاغة ٦/ ٢٤٥.

(١٧٥)– انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨٥٠.

(١٧٦)- انظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن ص: ٢٨٤، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ٧/ ٢٥، تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد ٦/ ٢٩٠.

(١٧٧)- انظر: الرازي، فخر الدين محمد، التفسير الكبير ٢٩/ ٥٠٨.

(١٧٨)- انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر .تفسير التحرير والتنوير ٢٨/ ٨٤.

(١٧٩)- انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٢٥، الرازي.فخر الدين محمد.التفسير الكبير ٢٨/ ١٩٢.

(١٨٠)- انظر: السعدي.عبد الرحمن بن ناصر.تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٨١٣.

(١٨١)- انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان٢٤/٦٢،٦٣.

(١٨٢)- انظر: ابن كثير. إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم٨/٢٧٧، ٢٧٨.

(١٨٣)- انظر: القرطبي، محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٠٠.

(١٨٤)- انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان ٢٤/ ٢١٢.

(١٨٥)- انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن ص: ٩١٠.

(١٨٦)- انظر: ابن عاشور ، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير٣٠/٨٢.

(١٨٧)- انظر: القزويني، جلال الدين أبو عبد الله، الإيضاح في علوم البلاغة ص: ٣٣٨، الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية ٢/ ٤٣.

(١٨٨)- انظر: الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية ٢/ ٤٣.

(١٨٩)- انظر: الألوسي. شهاب الدين محمود .روح المعاني ١٥/ ٢٣٨.

(١٩٠)- انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل ٤/ ٦٩٨.